سطور
OSTOUR

التسلم Received
2024-02-27

التعديل Revised
2024-11-16

القبول Accepted
2024-11-18

الرقم التعريفي: DOI: https://doi.org/10.31430/VAAJ2838

تقادم الخطيب | *Taqadum Al-Khatib

جذور الثورة المصرية 1919 من منظور الأرشيف الألماني

The Roots of the 1919 Egyptian Revolution from the Perspective of the German Archives

غالبًا ما يركز تاريخ النشاط المناهض للاستعمار في مصر خلال الربع الأول من القرن العشرين على التطورات التي حدثت داخل الحدود الإقليمية للدولة المصرية الحديثة. ومع ذلك، كانت توجد مجموعة كبيرة من الناشطين المصريين الذين عارضوا الاحتلال البريطاني أثناء إقامتهم في الخارج في مدن مثل باريس ولندن وجنيف وبرلين وبيروت وإسطنبول. تهتمّ هذه الدراسة بمجموعات فترة سابقة لثورة 1919، كان لها دور فعال في اندلاع تلك الثورة. وبعد استعراض الأدبيات المتعلقة بالنشاط المناهض للاستعمار في مصر، واقتراح إطار جديد لفهم الأبعاد العابرة للحدود الوطنية والشتات، تعيد الدراسة التفكير في هذه المجموعات الوطنية ونشاطاتها السياسية.

كلمات مفتاحية: مناهضة الاستعمار، الحركة القومية المصرية، المهاجرون السياسيون، الدعاية الألمانية في العالم الإسلامي، ثورة 1919

The history of anti-colonial activism in Egypt during the first quarter of the twentieth century often focuses on developments within the territorial boundaries of the modern Egyptian state. However, there was a significant cohort of Egyptian activists who opposed British occupation while residing abroad in cities such as Paris, London, Geneva, Berlin, Beirut, and Istanbul. This article examines these groups, particularly those based in Berlin in the period leading up to the 1919 Revolution, highlighting their crucial role in sparking the uprising. Following a review of the literature on anti-colonial activism in Egypt and the proposal of a new framework for understanding its transnational and diasporic dimensions, the article reconsiders the activities of these nationalist groups and their political engagements.

Keywords: Anti-colonialism, Egyptian Nationalist Movement, Political Migrants, German Propaganda in the Islamic World, 1919 Revolution

* محاضر سابق في التاريخ الحديث للشرق الأوسط في جامعة هايدلبرغ. زميل ما بعد الدكتوراه سابقًا في جامعة درم في المملكة المتحدة.

Former Lecturer in Modern History of the Middle East at Heidelberg University. Former post-doctoral fellow at Durham University, UK.

taqadum.k@protonmail.com

مقدمة

أتاحت أحداث الربع الأول من القرن العشرين فرصةً لظهور حركات مناهضة الاستعمار على المستوى المفاهيمي والتنظيمي. وفي السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وجد المهاجرون من أجزاء مختلفة من أفريقيا وآسيا موطنًا مؤقتًا ومساحة سياسية في العاصمة الألمانية، برلين، لممارسة نشاطاتهم المناهضة للاستعمار[1]. وبدءًا من الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، حينما كانت ألمانيا توشك أن تفقد مكانتها بوصفها قوة إمبراطورية، أدّت برلين دور المضيف لمجموعة متنوعة من منظمات المهاجرين والأفراد المنخرطين في النضال ضد الهيمنة الاستعمارية التي ربما كانت بمنزلة نقطة مفضلة لإعادة تسمية بعض الأحياء بأسماء قاطنيها، مثل الحي الأفريقي.

كان الوجود المتزايد للرعايا الاستعماريين في أوروبا منذ الحرب العالمية الأولى يعني أن مناهضة الاستعمار ظهرت أيضًا حقلًا سياسيًا في المراكز الإمبريالية. وأتاحت لهم البيئة الحضرية فرصةً للتفاعل مع زملائهم المهاجرين من أبناء المستعمرات والجهات الفاعلة من المجتمعات المضيفة لهم، وسُمح لهم بمتابعة التعليم الأكاديمي والمشاركة في التبادل الحيوي للأفكار السياسية التي ميزت المدن الأوروبية. وقد استضافت برلين مجموعة متميزة من الأفراد الذين واصلوا فيما بعد قيادة النضال المناهض للإمبريالية في جميع أنحاء العالم، ووصف العديد منهم تجاربهم في أوروبا بأنها فترة تكوينية حاسمة في تطوير تفكيرهم السياسي. اضطلعت النشاطات وشبكات التعاون العابرة للحدود التي أنشأها المهاجرون/ المنفيون في تلك الفترة بدور مهمّ في عملية إنهاء الاستعمار وتطور الحركات المناهضة له، إلى جانب التأثير بصفة مباشرة في المجتمع الأوروبي للتعريف بقضايا البلدان التي تعاني الاستعمار. غير أن العديد من تلك النشاطات والشبكات العابرة للحدود التي تم إنشاؤها في تلك الفترة لم تدرس على نحو معمّق، نظرًا إلى غياب المصادر الأصلية حولها، أو عدم الوصول إليها. لذا، فإن إعادة دراستها من أحد أهم المصادر، وهو الأرشيف الألماني، ستضيف بُعدًا معرفيًا جديدًا إلى الحقل الأكاديمي بتخصصاته المختلفة.

كانت برلين تختلف فعلًا عن لندن وباريس، من حيث إنها لم تستوعب سوى عدد قليل من المهاجرين من أقاليم ما وراء البحار الألمانية، خلال فترة الإمبراطورية. كان هذا يعني أنه حتى أثناء استمرار الإمبراطورية الألمانية، لم تكن السياسات المناهضة للاستعمار في برلين موجهة أساسًا ضد الممارسات الاستعمارية الألمانية. وكان لتجربة الهجرة دور رئيس في التطور السياسي لمناهضة الإمبريالية، بل من الممكن القول إنّ الاتصال بالتيارات الفكرية الغربية في تلك الفترة ليس هو ما ساعد في تعزيز مناهضة الإمبريالية وبناء الحركات القومية فحسب، ثمّ إنّ التجربة الحية للتفاعل مع "الأعراق المختلفة" في برلين قد ساعدت أيضًا في كشف تناقضات الاستعمار، وأثبتت أنّ سياسات المجتمع المحلي هي "ساحة ممارسة مهمة" لتطور القادة المناهضين للإمبريالية. فشخصيات مثل شو إن لاي Zhou Enlai (رئيس الوزراء الصيني لاحقًا)، وتشيمباكارامان بيلاي Chempakaraman Pillai من الهند، ومحمد فريد (زعيم الحزب الوطني المصري) وآخرين قد أدّت أدوارًا كبيرة في تعزيز مثل هذه المفاهيم وممارستها.

أما على الصعيد السياسي، فقد أدّت ظروف إلى أن تبدو برلين جذابة خاصة في نظر الناشطين المناهضين للاستعمار، لا سيما الوطنيين المصريين. فكان الدعم الألماني لهؤلاء الوطنيين في الفترة التي سبقت ثورة 1919 مدفوعًا بسياستها الأوسع خلال فترة

---

1 ينظر كتابه:

Erez Manela, *The Wilsonian Moment, Self-Determination and the International Origins of Anticolonial Nationalism* (Oxford: Oxford University Press, 2009).

ويشرح هذا الكتاب ما قام به الزعيم القومي المصري سعد زغلول، إضافة إلى قائمة طويلة من كبار السياسيين والأحزاب والمنظمات المهنية والمجموعات النسائية والجماعات الطلابية والمنظمات المصرية في الخارج، وحتى المواطنين المصريين العاديين، الذين تحركوا للكتابة إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية حينما وصل إلى باريس لحضور مؤتمر السلام.

الحرب العالمية الأولى لدعم الحركات الراديكالية والقومية ضد الاستعمار في جميع أنحاء العالم. إضافة إلى ذلك، خلال الحرب العالمية الأولى، عملت ألمانيا والإمبراطورية العثمانية على ترسيخ الموقف الإسلامي الشامل في محاولة لتعبئة المسلمين ضد أعدائهم (المستعمرين)، وقدمت ألمانيا نفسها بصفتها قوة دولية أكثر جاذبية من ناحية مناهضة السياقات الإمبريالية، وسعت أيضًا إلى بناء نفوذ أكبر لدى الطلاب المصريين المنتمين إلى الحزب الوطني أو المستقلين. وفي برلين وسويسرا، كان التمويل الألماني للمجموعات الطلابية والأفراد المنفيين دور حاسم في تعزيز هذا الوضع، في حين كانت بريطانيا العظمى وفرنسا قلقتين جدًّا بشأن العواقب المحتملة لهذه الدعاية، واستثمرتا جهودًا وأموالًا كبيرة في اعتراضها ومواجهة تأثيرها[2].

وكان موقع برلين، من ناحية أخرى، جيّدًا جغرافيًا؛ فهي تقع في منتصف الطريق بين حواضر أوروبا الغربية وموسكو، حيث لم يكن لدى السلطات اهتمام كبير بحظر النشاطات المناهضة للاستعمار كما كان الحال لدى نظيراتها في لندن أو باريس؛ إذ إن الحزب الشيوعي الألماني قدّم مركزًا قويًا وأساسًا قويًّا، للبنية التحتية المناهضة للاستعمار[3]. ومن أبرز تلك الأمثلة الدالّة على التعاون بين الحركة العمالية والحركات المناهضة للاستعمار في برلين رابطة ضد الإمبريالية LAI، وكان مقرها الرئيس في شارع فريدريش Friedrich Straße في برلين، وقد تحوّل اليوم إلى أحد أهم شوارع التسوق في برلين، ولم يكن هذا الشارع مكانًا للعمل الإداري للرابطة فحسب، بل أيضًا لتنظيم الأحداث والحملات المحلية المناهضة للاستعمار أو إجراء دورات التثقيف السياسي للناشطين المهاجرين[4]، وهذا هو السبب في أن يكون المقهى الرئيس للمعارضة المصرية في تلك الفترة واقعًا في هذا الشارع، حيث كان لمحمد فريد وعدد من المعارضين المصريين الآخرين وجود دائم فيه. وإلى جانب التزامات برلين الشيوعية، كان لها مشهد متنوع جدًّا من المنشورات التي وفرت مساحة للأصوات المعارضة؛ وهي مساحة أمكن أن يستخدمها الناشطون المهاجرون خلال فترة جمهورية فايمار. وقد استثمر القوميون المصريون في هذه المساحة المهمة، وتحوّلت برلين إلى مركز لنشاطات النشر الخاصة بهم.

ستركز هذه الدراسة على إبراز علاقة ألمانيا بكوادر الوطنيين المصريين، ممن ساعدوا على تفجير ثورة 1919، والدور الذي أداه بعض الأشخاص الذين انخرطوا في هذه العلاقة المناهضة للاستعمار وشبكات التعاون العابرة للحدود. وفي حدود المعرفة المتاحة، تأتي هذه المساهمة لتشكل إحدى المساهمات القليلة التي كتبت في هذا الموضوع، خاصة المساهمات المكتوبة باللغتين العربية والإنكليزية على حد سواء. وهي تمثل إضافة جديدة ومهمة لفهم حركات المعارضة الحضرية ونشاطاتها في الربع الأول من القرن العشرين. وفي المقابل، فإن أخذ العاصمة الألمانية إطارًا مكانيًا للتحليل يسمح لنا بالنظر إلى ما هو أبعد من ظهور حركات منفصلة مناهضة للاستعمار، ويوجه انتباهنا إلى التزامن والتفاعلات بين مجموعة واسعة من الجهات الفاعلة المناهضة للاستعمار، وهي مهمة اكتسبت مزيدًا من التركيز، وحظيت بمكانة بارزة في البحث التاريخي في الآونة الأخيرة، ولكنها لا تزال غير مطروقة على نحو كافٍ.

الدراسات السابقة

عند التركيز على الموضوع قيد الدراسة، نجد أن الدراسات التي تناولته قليلة إلى حد ما، سواء كان ذلك باللغة العربية أو الإنكليزية، أو الألمانية. فهناك دراستان بالألمانية: الدراسة الأولى هي دراسة المؤرخ السويسري مارك تريفزيجر Marck Trefzger التي نشرت عام 1970، وهي في الأساس رسالته للدكتوراه، وقد اهتمت الدراسة بالنضال السياسي والصحافي للوطنيين المصريين الذين عاشوا في المنفى

2 Jacob M. Landau, *Pan-Islam: History and Politics* (London: Routledge 1990), p. 121.

3 سيظهر هذا الأمر على نحو أوضح في عملية إنشاء الحزب السياسي والمعارك التي دارت بين الألمان والإنكليز. ينظر:
Nathanel Kuck, "Anti-colonialism in a Post-Imperial Environment-The Case of Berlin" 1914-33," *Journal of Contemporary History*, vol. 49, no. 1 (2014), pp. 134-159.

4 اقتحمت الشرطة الألمانية هذا المكان مرات عديدة. ينظر تقارير الشرطة الألمانية ضمن وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الألمانية في:
Geheimes Staatsarchiv Preussischer Kulturbesitz Rep. 77, 4043, Nr. 221, 2–31.

في سويسرا، إلى جانب البحث في آثار النشاطات الأدبية والتحريضية للمنفيين في الرأي العام في سويسرا، من خلال التقييم الصحافي للأسلوب والمحتوي للإصدارات الصحافية الخاصة بهم. وقد أولى تريفزيجر الشخصيات الرئيسة عناية خاصة، وركز على السير الذاتية السياسية لممثلين مهمين عن الحزب الوطني المصري، مثل محمد فريد، ومحمد فهمي، ومنصور رفعت ... إلخ. وتوصّل الباحث، في دراسته، إلى استنتاج مفاده أن المصريين في المنفى لم ينجحوا في جذب الجمهور السويسري بمطالب الاستقلال الوطني المتعلقة بالقضية المصرية[5]. إن محاولة تريفزيجر تلك كان لها أثرها في العديد من الباحثين خاصة في ألمانيا لدراسة هؤلاء القوميين، وفي مقدّمتهم المستشرق الألماني جيرهارد هوب Gerhard Höpp الذي درس في العديد من أعماله حياة المصريين ونشاطاتهم وغيرهم من العرب الذين ناضلوا من أجل الاستقلال الوطني في ألمانيا من جوانب مختلفة، كما أنه شهد آثار التفاعل الثقافي الإسلامي - المسيحي وعمليات النقل والتفاعل بين الثقافتين. وتابع هوب باهتمام كبير نشاطات المصريين السياسية في الحرب العالمية الأولى. وتوجد مسألة مهمة قام بها في دراساته لم يتم تسليط الضوء عليها حتى الآن، ولم تنل اهتمامًا كبيرًا من الباحثين؛ وهي تحقيقه في أمر أسرى الحرب المسلمين في المعسكرات الألمانية، التي تم إنشاؤها حصريًا لأغراض دعائية بهدف تجنيد نزلاء جهاديين[6]. امتد تأثير تريفزيجر أيضًا ليشمل المستشرقين الألمان المعاصرين، ومنهم المستشرق الألماني بجامعة ماربورج ألبريشت فوس الذي سار على نهج تريفزيجر في دراسته القيمة المتعلقة بتاريخ الجالية الألمانية في مصر في الفترة 1901-1939[7].

وعلى النحو نفسه، فإن الدراسات باللغتين الإنكليزية والعربية في هذا المجال لا تزال قليلة، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الألمان بالقوميين العرب، ولا سيما وخاصة الوطنيين المصريين. ومن أهم الدراسات السابقة أعمال الندوة التي نظمها وجيه عبد الصادق عتيق، بالاشتراك مع المؤرخ الألماني فولف جانج شفانتس في القاهرة في الفترة 19-21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1996، تحت عنوان "مصر وألمانيا في القرنين التاسع عشر والعشرين في ضوء الوثائق"، وقد شارك فيها باحثون عرب وألمان، ونشرت أعمال هذه الندوة دار الثقافة العربية بالقاهرة عام 1997، ومن بينها دراسة عبد الرحمن برج التي تناول فيها موقف ألمانيا من المسألة المصرية. ونذكر أيضًا دراسة وجيه عبد الصادق عتيق المتعلقة بدور ألمانيا في الحملة التركية على مصر في الحرب العالمية الأولى، والتي اعتمد في إعدادها على ملفات الأرشيف الألماني. ونذكر كذلك مقالة المؤرخ المصري رؤوف عباس بخصوص علاقة ألمانيا بالحركة القومية المصرية في الفترة 1882-1918، وقد اعتمد فيها أساسًا على مذكرات محمد فريد[8]. وبالنظر إلى ما أورده عباس استنادًا إلى ما دوّنه فريد، نجد نقصًا في المعلومات أيضًا، فهناك الكثير من الأحداث التي كانت تدور من خلف فريد ولم يكن على علم بها، كما أنه لم يكن يدوّن كل شيء في وقته، ولم يذكر العديد من الأحداث في مذكراته؛ إما لأنه نسيها، وإما لأنه تجنب ذكرها، مثل تعاونه وعدد من أعضاء الحزب الوطني مع الألمان والأتراك في حملة السويس الأولى عام 1914.

أسئلة الدراسة

تحاول الدراسة إبراز علاقة ألمانيا بالوطنيين المصريين، الذين سعوا لتفجير ثورة 1919، من خلال طرح الأسئلة التالية: ما علاقة ألمانيا بالكوادر النشطة من بين الوطنيين المصريين؟ وكيف بدأ التعاون بين هؤلاء الوطنيين المصريين والسلطات الألمانية؟

5 Marc Trefzger, *Die nationale Bewegung Ägyptens vor 1918 im Spiegel der schweizerischen Öffentlichkeit* (Basel/ Stuttgart: Verlag von Helbing & Lichtenhahn, 1970).

6 G. Höpp, "'Die ägyptische Frage ist in Wirklichkeit eine internationale' - Zur politisch-publizistischen Tätigkeit ägyptischer Antikolonialisten in Berlin 918-1928," *Asien*, *Afrika*, *Lateinamerika*, vol. 15, no. 1 (1987), pp. 87-98.

7 Albrecht Fueß, *Die deutsche Gemeinde in Ägypten von 1919-1939* (Hamburg: Lit, 1996).

8 Raouf Abbas Hamed, "Germany and the Egyptian Nationalist Movement "882-1918," *Die Welt des Islams*, vol. 28, no. 1-4 (January 1988), pp. 11-24.

وما أبرز الشخصيات التي ورد ذكرها في وثائق الأرشيف الألماني؟ وما سياسة ألمانيا، بصفتها دولة مضيفة، تجاه هؤلاء المنفيين المصريين؟ وما الدعم الذي قدمته لهم؟ وكيف استغل الوطنيون المصريون هذا الدعم للقيام بنشاطاتهم المختلفة من أجل التعريف بقضيتهم وكسب تعاطف المجتمعات الأوروبية؟

وثائق الدراسة

تقوم هذه الدراسة على تحليل وثائق الأرشيف الألماني الموجودة في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية ببرلين PAAA، والأرشيف العسكري، في مدينة كوبلنز الألمانية، BAK، ومقارنتها بوثائق الأرشيف البريطاني PRO FO. وتتمثّل قيمة هذه الوثائق في أنها تعكس رؤية الدولة الألمانية تجاه مصر في تلك الفترة؛ إذ إنها أبرزت مصر على أنها دولة مستقلة وذات سيادة وتقع تحت الاحتلال الإنكليزي، وأبرزت علاقة ألمانيا بالوطنيين المصريين الذين كانوا في المنفى في تلك الفترة، وكشفت عن الدعم الألماني المقدّم لهم. وتأتي وثائق الخارجية الألمانية على ذكر العديد من الشخصيات، والمؤسسات والكيانات السياسية لشخصيات مصرية وجدت حينئذ في المنفى، إلى جانب الشخصيات الألمانية الممثلة للخارجية في التواصل معهم، وتأثير هؤلاء الأشخاص في سير الأحداث في مصر. ومن بين الشخصيات التي أبرزتها الوثائق الألمانية عباس حلمي الثاني الذي كان يسعى لاستعادة عرشه في مصر، بعد أن عزله الاحتلال الإنكليزي، إلى جانب شخصيات أخرى في المعارضة المصرية في المنفى، في مقدمتها محمد فريد بك، رئيس الحزب الوطني، وكذلك الشيخ عبد العزيز جاويش. وتكشف وثائق الأرشيف الألماني أيضًا عن جزء مهم منسي في تاريخ الحركة المصرية، لم يحظ بالدراسة، وهو الحركة الطلابية التي تشكلت في المنفى في تلك الفترة، ورموزها الذين أدّوا دورًا واضحًا في تعبئة المجتمعات الأوروبية للتعريف بقضيتهم. وفي المجمل، تقدّم وثائق الأرشيف الألماني، خاصة وثائق وزارة الخارجية، معطيات معمّقة عن الأحداث والنشاطات والتحالفات والصراعات وكذلك العلاقات المعقدة التي كانت تربط المصريين بعضهم ببعض، والدولة الألمانية من ناحية، ومن ناحية أخرى توضح كيف اهتمت ألمانيا، على نحو أكبر، بتقديم الدعم للأشخاص البارزين وأصحاب الثقل السياسي مثل الخديوي عباس حلمي الثاني، ومحمد فريد بك، والشيخ عبد العزيز جاويش.

ونظرًا إلى اتساع الوثائق وتشعبها وكثرة المعلومات الواردة فيها، ستركز الدراسة على إبراز الدور الألماني على مستويين: المستوى الأول، الدعاية الألمانية واستخدام فكرة الجهاد لتثوير الشعب المصري ودور الجواسيس الألمان في القاهرة في تنفيذ هذه الخطة بالتعاون مع المنفيين المصريين، أما المستوى الثاني فهو عن الدعم الذي وفرته الحكومة الألمانية لنشاطات المعارضة المصرية في المنفى (وخصوصًا الشخصيات البارزة منهم) في الفترة التي سبقت تشكيل ثورة 1919 (مثل تأسيس الروابط السياسية، والصحف والمؤتمرات، وكذلك الأحزاب السياسية).

المنهجية

كان لوجود عدد كبير من المهاجرين/ المنفيين من سياقات إمبراطورية مختلفة في برلين، وللنشاطات العابرة للحدود التي تم تشكيلها في تلك الفترة، الأثر الواضح في تشكيل مجال سياسي متماسك لمناهضة الاستعمار. ومن خلال السؤال عن نوع التفاعلات التي أتاحتها برلين أو موّلتها، أو طلبت من هؤلاء الناشطين الوافدين القيام بها، ستأتي هذه الدراسة على ذكر هذه النشاطات، وتعتبر بذلك مساهمة جديدة فيما يتعلق بتاريخ مناهضة الاستعمار المبكر، وكيفية تسجيل هذه النشاطات في الأرشيف الألماني. من ناحية أخرى، فإن دراسة هذه النشاطات، في سياق مناهضة الإمبريالية، تقع في إطار دراسة الحركات الاجتماعية التي تشكلت في تلك الفترة، والتي كان لها دور مهم في عملية التعبئة من أجل التعريف بالقضية المصرية، وأحقية مصر في نيل استقلالها وجلاء الاحتلال الإنكليزي عنها، وكسب تعاطف المجتمعات الأوروبية. ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركة الاجتماعية السياسية تشكلت في المنفى،

ومن ثمّ فدراستها من منظور نظرية الحركات الاجتماعية وحدها لن تكون كافية، بل ستتداخل مع عدة منظورات مختلفة للمهاجرين، وممارساتهم السياسية العابرة للحدود القومية على المستوى الجزئي مع المنظور السياسي على المستوى الكلي. وتنظر في نشاطات الأفراد، وسياسة الدول المضيفة تجاه مجتمع المنفيين، وكذلك العوامل المؤثرة في فاعلية نشاط هؤلاء المنفيين، مستندة في ذلك إلى الأدبيات المختلفة لدراسات سلوكهم، وسير الأفراد الذاتية وأدوارهم التنظيمية[9].

وطبقًا لدراسات مجموعات المنفيين للخارج، توجد ثلاثة عناصر رئيسة تؤدي دورًا في العلاقة بين المجموعات المنفية ومواطنيها في الخارج، وهي تختلف كثيرًا من حالة إلى أخرى وتتأثر بمتغيرات مختلفة؛ مثل شخصية المنظمة نفسها، وسياسات الدولة المضيفة تجاه نشاطات المنفيين، ونشاطات النظام الداخلي المضادة لتثبيط المعارضة في الخارج[10]. ومن المهم القول إن الطبيعة الاجتماعية والسياسية للبلد المضيف هي التي تحدد قدرة المنفيين في الخارج على تنظيم النفوذ وممارسة تأثير غير مباشر في وطنهم، وتؤثر أيضًا في شخصية الشتات نفسه. وثمّة حالات تسعى فيها مثل هذه الدول المضيفة لاستغلال الشتات لتعزيز مصالح سياستها الخارجية (على سبيل المثال الحكومتان الألمانية والتركية ومجتمع المنفى المصري خلال ثورة 1919).

باستخدام هذه المنهجية، ستلقي الدراسة في أحد جوانبها الضوء على بدايات تشكّل المنفى المصري، بما سيساهم في فهم السردية والجذور التاريخية لمجتمع المنفيين المصريين؛ وهو ما يمكن استخدامه في فهم بعض الظواهر الموجودة لدى المنفيين المصريين في ألمانيا وتحليلها، من خلال إحالتها إلى جذورها التاريخية الأولى.

أولًا: من الجهاد إلى الثورة

لاحظت ألمانيا أن معظم البلدان التي تقع تحت الاحتلالَين الفرنسي والإنكليزي هي بلدان إسلامية، تقع في الأساس ضمن نطاق الخلافة العثمانية. فلجأت إلى استخدام الإسلام، وبخاصة مفهومَي الجهاد، والقومية الإسلامية (أو ما يعرف بفكرة الجامعة الإسلامية) أداةَ تثوير للشعوب المسلمة ضد مستعمريها[11]. لاقت الدعوة الألمانية باسم الجهاد رغبة قوية لدى حليفهم التركي، الذي دعا أيضًا إلى الجهاد لتحرير الشعب التركي في القوقاز وآسيا الوسطى من الاستبدادَين الروسي والأرمني، وإثبات نفوذ السلطان (الخليفة) على جميع المسلمين الآخرين في العالم ولا سيما في الهند، والتحرير النهائي للإمبراطورية العثمانية من الهيمنة الاقتصادية والسياسية لجميع القوى[12].

---

9 يتقاطع الأمر هنا مع نظرية الحركة الاجتماعية التي وضعها الأنثروبولوجي الفرنسي، بيير بورديو Pierre Bourdie، الذي حاول أن يقدّم عدة تفسيرات للحركة الاجتماعية ونشأتها من خلال عدة أدوات من بينها نظرية تعبئة الموارد. وهنا، "يقصد استخدام الموارد أو الشبكات التي يستطيع الوكلاء الاعتماد عليها في عملية النضال الخاصة بهم (رأس المال الثقافي والرمزي). وتوسع مساهمات بورديو فهمنا للتأثيرات الميدانية من المستوي التنظيمي إلى المستوي الفردي، وهو ما يشير إلى أن العديد من الملاحظات المألوفة المتعلقة بعواقب السيرة الذاتية للنشاط يجب أن تُفهم فهمًا صحيحًا على أنها تأثيرات ميدانية، مترابطة على نحوٍ وثيق ومرتكزة في قطاعات فرعية معينة من الفضاء "الاجتماعي". وهذا مهم، بصفة خاصة" لأن نهج "السياسة المثيرة للجدل"، الخليفة السائد لنظرية الحركة الاجتماعية الكلاسيكية، قد ركز أساسًا على المنظمات، وليس لديه سوى القليل ليقوله عن السير الذاتية الفردية. وعلى مستوى أكثر أساسية، يقدّم مفهوم بورديو للهيبيتوس بديلًا من نظرية العمل العقلاني الكامنة في الكثير من نظرية الحركة الاجتماعية السائدة، مما يجعل من الممكن فهم سبب حشد بعض الفاعلين بينما لا يفعل الآخرون ذلك، إذا اختاروا المشاركة، وهو ما من شأنه "أن يكتسب "الفوائد الانتقائية" نفسها، مثل المشاركين الآخرين. ووفقًا لوجهة النظر هذه، من خلال دراسة السير الذاتية الفردية، من الممكن تحديد "التجارب التكوينية" التي تزيد قيام بعض الأفراد بالتعبئة أكثر من غيرهم احتماليةً، وهنا يتقاطع الأمر مع عدد من دراسات الشتات.

10 Yossi Shain, *The Frontier of Loyalty: Political Exiles in the Age of the Nation-State*, vol. 6 (Ann Arbor: University of Michigan Press, 2005), p. 52.

11 Fritz Fischer, "Deutsche Kriegsziele. Revolutionierung und Separatfrieden im Osten 1914–1918 (Zuerst: Historische Zeitschrift 18" [1959])." in: Ernst W. Graf Lynar (ed.), *Deutsche Kriegsziele 1914–1918. Eine Diskussion* (Frankfurt/ Berlin: Verlag Ullstein, 1964), pp. 18-83, esp. 23.

12 Stanford J. Shaw & Ezel Kural Shaw, *History of Ottoman Empire and Modern Turkey: vol. 2, Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey 1808-1975* (New York: Cambridge University Press, 1977), p. 314.

وقد عُرفت الدعوة إلى الجهاد في الأدبيات الغربية، وبخاصة الألمانية، بالحرب المقدسة Heiliger Krieg. وفي تلك الفترة، رأت منظمة تركيا الفتاة في الدعوة إلى الجهاد أداة مهمة، لها تأثيرها المباشر والقوي لتوحيد الشعب خلف سياسات الحكومة العثمانية. وطبقًا لوثائق أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، في مطلع آب/ أغسطس 1914، وبناءً على طلب من القيادة العليا للجيش بدأ الإعداد لاستراتيجية التعبئة والتحريض هذه، والتي سيستخدم فيها الإسلام أداةً لتثوير الشعوب المستعمرة ضد مستعمريها. وفي الرابع عشر من الشهر نفسه، قدّم المستشار القانوني لوزارة الخارجية الألمانية فريدريش فون بريتويتز وجافرون Friedrich von Prittwitz und Gaffron تقريرًا مختصرًا عن الأماكن التي بدأ فيها استخدام الدعاية الألمانية لتحريض العالم الإسلامي على الجهاد. وقد شمل التقرير دولًا مختلفة في أفريقيا، وبخاصة بلدان المغرب العربي (المغرب، وتونس، والجزائر)، ونُظر إلى مصر على أنها المنطقة المستهدفة. وقد تزامن هذا التقرير مع عودة ماكس فون أوبنهايم Max von Oppenheim الرحالة والدبلوماسي الألماني المعروف، إلى وزارة الخارجية في آب/ أغسطس من العام نفسه. تم تكليف أوبنهايم بالاتصال بالمعارضة المصرية، وبخاصة الموجودة في المنفى، والنشطة ضد الاحتلال الإنكليزي، من أجل تنظيم حركة إسلامية تنشأ في مصر وتنتشر عبر مكة إلى بقية العالم الإسلامي وصولًا إلى الهند[13]. وقد اقترح أوبنهايم وصف تلك الحرب المقدسة بأنها حركة التحرر ضد الإمبريالية.

وفي كتابه **تثوير المناطق الإسلامية** وضع أوبنهايم خطته لاستخدام فكرة الجهاد، وقد تحدث عن مصر قائلًا: "إنه في مصر، المناهضة لإنكلترا وفي مصر السودان، سيكون ما مجموعه أكثر من اثني عشر مليون مسلم على استعداد لدعم الجهاد إذا تم استفزازهم مسبقًا على النحو الأمثل، لذلك فإن انتصار الجيش التركي المنتظر مند فترة في بلاد النيل قد اقترب، فيجب تسريع أعمال الدعاية، والتي يجب أن تتم باسم الخليفة على نحوٍ متزايد وبضغط عالٍ من أجل إثارة غضب الناس العاديين عن طريق المناشدات والوسائل الأخرى، كما أنه يجب إبراز العنصر الديني، على نحو خاص، من خلال الأزهر، وعامل الإخوة، وما إلى ذلك". في الوقت ذاته، اقترح أوبنهايم أيضًا البدء في تنفيذ أكبر عدد ممكن من الانقلابات والاغتيالات وما إلى ذلك [...]، بغض النظر عما إذا كانت ستنجح أم لا، من أجل جعل مستقبل وجود الإنكليز في مصر أكثر غموضًا[14]. كان هدف أوبنهايم من هذه القلائل هو إثارة الإنكليز لممارسة مزيد من الأعمال الانتقامية والقمع ضد المصريين، ما سيؤدي بدوره إلى تفاقم معاناة السكان، لأن الأعمال الانتقامية سوف تؤدي إلى تفاقم معاناة الشعب المصري[15]. ويقول: إنه كلما استخدم الإنكليز القمع بأكثر قسوة، وكلما ضربوا الأبرياء، كما هو متوقع، زادوا الشعب الخامل غضبًا وتعصّبًا، الذي يوصف أحيانًا، على نحو بأنه جبان، وهذا الأمر سيجعل سكان المدن والفلاحين مستعدين للقتال بكل الوسائل حتى بالسكين لطرد الإنكليز[16]. وقد اقترح أيضًا استخدام "حرب الغوريلا" ضد الإنكليز وتجنيد ميليشيات من العناصر المعادية لهم.

ومن أجل تطبيق هذه الخطة أثار أوبنهايم حماس وزير الحربية التركي حينها (إسماعيل باشا)، والدائرة المقربة من الخديوي عباس حلمي الثاني. كان أوبنهايم يدرك أهمية قناة السويس بالنسبة إلى الإنكليز، وهي أحد الأسباب التي أدت إلى احتلال مصر، لذلك رأى أن أي تمرد سيحدث لا بد من أن يكون متوازيًا مع هجوم واسع من المصريين والأتراك والألمان على قناة السويس، وسيكون

13 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 22402، 1914. هذه الوثيقة عبارة عن تقرير بعنوان: "التدابير الأولية لتنفيذ التثوير". وفي الواقع، لا أريد أن أسهب كثيرًا بشأن دور أوبنهايم في الترويج للدعاية الألمانية والمخطط الألماني، إذ إنّ العديد من الدراسات تناولت حياته والدور الذي اضطلع به. لذا، قدّمت نبذة مختصرة عن دوره. لكن حتى هذه اللحظة، لم أطلع على مرجع عربي أو إنكليزي يتحدث عن هذه الوثيقة التي كتبها أوبنهايم، ويبدو أنها لم تترجم حتى الآن.

14 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 20938، 1914، ص 20.

15 المرجع نفسه، ص 25.

16 المرجع نفسه، ص 22-23.

ذلك من أهم الأسباب لبدء تمرد وعصيان واسع يشمل البلاد كلها[17]. ومن أجل تحقيق الهدف الخاص بنشر الدعاية الألمانية، أنشأت وزارة الخارجية الألمانية "وكالة أنباء الشرق" لمتابعة نشر تلك الدعاية في المشرق والهند وشرق آسيا تحت إشراف أوبنهايم، وكانت الوكالة تنتج دعاية مطبوعة بلغات أجنبية مختلفة بالتعاون مع العلماء والمحررين الشرقيين وكذلك المطبعة القيصرية[18].

القاهرة فضاءً للجاسوسية

كان لاستراتيجية التثوير التي هدف الألمان إلى تمريرها بالتعاون مع المنفيين المصريين ما يؤيدها في الواقع؛ فقد كانت الاضطرابات والاحتجاجات المندلعة ضد الإنكليز بمنزلة الفرصة الحقيقية لتمرير هذه الاستراتيجية والعمل على إنجاحها. فكانت وزارة الخارجية الألمانية مسؤولة بصفة أساسية عن تخطيط الحملات الدعائية وتنفيذها، وكان الأمر يعتمد خاصةً على تعاون البعثات الدبلوماسية في القسطنطينية وبرن وأثينا وروما وجنوة، وعلى هياكل شبكات المخابرات التي تم إنشاؤها على المستوى الخاص بوصف ذلك جزءًا من العمل. من هنا، كان لزامًا الاستمرار في جمع المعلومات المتعلقة بالتطورات العسكرية والسياسية في مصر، وإرسالها إلى برلين لتحليلها. كانت التقارير ترسل عن طريق المبعوثين والجواسيس الألمان في مصر، وكانت تبدي تصوّرًا واضحًا عن الأحداث وتطورها، كما أنها تعتبر سجلًا يوميًا للأحداث، وهي أشبه بما كان يكتبه عبد الرحمن الجبرتي عن الوضع أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر. تزخر تلك التقارير بتفاصيل دقيقة عن حياة المصريين في تلك الفترة، وعن الأحداث التي كانت تحدث يوميًا ضد الاحتلال الإنكليزي. وأفاد عدد من التقارير الواردة في الأرشيف أن صحيفة **الرسول** *Il Messaggero*، التي نُشرت في روما في 24 آب/ أغسطس 1914، ذكرت أن هناك تمردًا مزعجًا اندلع في مصر[19]، ويبدو أن دقة هذه الأخبار قد تأكدت، حينما أرسل ألبرت غراف فون كوات Albert Graf von Quadt، السفير الألماني في أثينا، برقية إلى برلين بعد أيام قليلة، نقلًا عن تقرير مخبر من صحيفة لم تذكر اسمها، جاء فيها أن "اضطرابات خطيرة اندلعت في مصر"[20].

احتوى أحد التقارير الواردة، في تشرين الأول/ أكتوبر 1914، معلومات أكثر تفصيلًا، وشرح الوضع في مصر على النحو التالي: "في مصر تُنبِئ أصوات الشعب بثورة قادمة، فقد اطلع رئيس البعثة الألمانية على الوضع الفعلي من خلال الجنود الأتراك الموجودين هناك، وكذلك الجنود الألمان الموجودون والذين يجهزون لقيام هذه الانتفاضة، لكن عند وقوعها فإن الشعب ستنقصه الأسلحة والذخيرة، ولو امتلكها فسيكون غير مدرب عليها. وطبقًا للمعلومات الواردة من جانب أصدقاء إنكليز، فإن عزيز باشا المصري"[21]، مع

17 المرجع نفسه، ص 25.

18 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 20938، 1914.

19 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 15044، 1914. المعلومات الواردة هي بحسب اتصال داخلي في وزارة الخارجية في اليوم نفسه. ولم يتسنَّ تأكيد هذا التقرير من السلطات الألمانية في مصر التي طرد موظفوها بعد أيام قليلة. ومع ذلك، أكدت القنصلية العامة في القاهرة أن الحالة المزاجية في جميع أنحاء مصر كانت موالية لألمانيا وأن الظروف في داخل البلاد كانت مواتية.

20 برقية كيرت كوات إلى وزارة الخارجية بتاريخ 1914/9/2. وبعد ثلاثة أيام فقط، كان على كوات أن يضع تقريره في مستوى جديد، ويصحح تقرير الانتفاضة إلى مستوى "الإثارة الكبيرة". ففي برقية في 1914/9/5. علق كوات في تقرير من القسطنطينية إلى وزارة الخارجية، في 7 أيلول/ سبتمبر 1914، بقوله: "حتى الآن كان كل شيء هادئًا في مصر وعلى القناة".

21 عزيز علي المصري (1879-1965/6/15)، هو عسكري وسياسي مصري. شارك في تأسيس الجمعية القحطانية وجمعية العهد، ويعتبر من رواد الحركة القومية في مصر والعالم العربي. وهو من أسرة شركسية عريقة سكنت العراق قادمة من شمال القفقاس هي أسرة شاهلبة الشركسية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مصر حيث وُلد عزيز المصري وأتم دراسته الثانوية، والتحق بالكلية العسكرية في الأستانة، ثم في كلية الأركان حيث تخرج فيها بتفوق عام 1904. انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، وشارك في انقلابها العسكري عام 1908، ترك الاتحاد والترقي بعد أن اتّضح له معاداتها للعرب. وأسس مع الشهيد سليم الجزائري الجمعية القحطانية، التي نادت بمملكة ذات تاجين (العرب والترك). حارب ببسالة وبطولة في ليبيا ضد الغزو الإيطالي. عاد إلى الأستانة عام 1913، وأسس جمعية العهد، وهي جمعية عسكرية سياسية سريّة عربية، في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1913، ثم اعتقل في 9 أيلول/ سبتمبر 1914، وحكم عليه بالإعدام، وأطلق سراحه في 21 نيسان/ أبريل 1914، ونُفي إلى مصر. واعتقله الاحتلال الإنكليزي مرات عديدة، وقد اعتبرته حركة الضباط الأحرار أبًا روحيًا لها، وكانت ثمّة نيّة لتنصيبه رئيسًا بدلًا من محمد نجيب، لكنّ ذلك لم يحدث لأنه تقاعد عام 1955؛ لمزيد من التفاصيل المتعلقة بعزيز المصري، ينظر: محمد السيد صالح، **عزيز المصري: أبو الثوار** (القاهرة: بطانة للنشر والتوزيع، 2019).

بداية الحرب وبسبب تواصله مع الأتراك والألمان، قد تم إلقاء القبض عليه مع عدد من الجنود المصريين المشتبه فيهم[22]. في الوقت ذاته فإن هناك كتيبة من الجيش المصري قد تمردت، وقد تم احتجاز أفرادها في القلعة، وأرسلت إلى السودان[23].

ويذكر التقرير نفسه أيضًا "أن هبّات التمرد التي قام بها الشعب المصري ضد الاحتلال الإنكليزي لا تهدأ أبدًا، بل إنه بين شهري [أيلول/] سبتمبر و[تشرين الأول/] أكتوبر 1914 شهدت القاهرة وحدها هبّات مختلفة ضد قوات الاحتلال الإنكليزي في أكثر من خمس مناطق، وانتهت بالقمع الوحشي لها من جيش الاحتلال، بل إن كثرة هذه الانتفاضات جعلت القاهرة مهددة بالقصف المدفعي من الاحتلال. ونتيجة لهذا تحوّل عدد من الأماكن التي كانت تنطلق منها المظاهرات إلى ثكنات عسكرية كما هو الحال في محطة مصر. ثمّ إن عددًا من جنود الاحتلال القادمين من الهند (هنود وإنكليز)، والذين قدموا لحماية موقع القناة، تم استدعاؤهم ليكونوا في الدلتا لصد أي هجوم تركي محتمل (عدد الجنود الهنود كان يناهز 20000 جندي)، ففي يوم واحد أكثر من 800 ناقلة جنود كانت مستعدة لنقل الجنود إلى الدلتا للقيام بهذه المهمة. وفي صيدليات القاهرة لا يوجد مصل ضد الوباء[24]، كما أن الإدارة العسكرية يمنع امتلاكها لذلك المصل. وتم تشديد إجراءات الرقابة، فعند الوصول إلى مصر يتم تفتيش الحقائب والملابس بعناية شديدة للعثور على الصحف أو التلغرافات الألمانية، كما تم استدعاء موظفات ليقمن بالتفتيش الجسدي للنساء. أما الألمان المحتجزون في البلاد فلم يخضعوا فقط للمراقبة من خلال الشرطة، بل أيضًا من خلال البوليس السري[25]. ومن خلال الإشارة إلى ما جاء في التقرير بأن هناك نقصًا في الأسلحة التي لا يستطيع الشعب امتلاكها ولو امتلكها فلن يكون مدربًا عليها، هو ما جعل محمد فريد في أحد الاجتماعات التي كانت تتم في القنصلية الألمانية في إسطنبول يقترح توفير عشرة آلاف بندقية لمواجهة القوات الإنكليزية[26].

من خلال التدقيق في أوضاع مصر، أدرك الألمان أنه لا بد من الانخراط أكثر فأكثر في هذه الاحتجاجات، من أجل كسر العزلة الإعلامية التي يقوم بها الإنكليز بشأن تطور الأحداث في مصر. فرأت وزارة الخارجية الألمانية أنه من المناسب دعم تلك الهبّات الشعبية التي يقوم بها الشعب المصري ضد المحتل الإنكليزي، وجمع تقارير حقيقية وواقعية على الأرض لنجاح استراتيجية الدعاية، وكذلك تمهيدًا لاجتياح عسكري لقناة السويس ستقوم به القوات التركية والألمانية جنبًا إلى جنب مع أعضاء الحزب الوطني. من أجل ذلك اعتمدت الخارجية الألمانية على جواسيسها الألمان في مصر، ومن بين هؤلاء رجل الأعمال الألماني أوتو ليندمان Otto Lindemann. كان ليندمان صاحب مصنع قطن في الإسكندرية. وفي نهاية أيلول/ سبتمبر 1914، حينما كان يوشك أن يعود إلى مصر، اقترح على وزارة الخارجية تهريب مواد دعائية إلى مصر وتلقي معلومات من البلاد، وإنشاء شبكة لتسليم الأموال والمواد الدعائية لمبعوثيهم في مصر، عبر سويسرا وإيطاليا واليونان. وفعلًا، لاقت هذه الفكرة دعمًا واسعًا من الحكومة الألمانية، خاصة بعد النجاح الأولي بالتعاون مع السفارات في روما وأثينا في هذا الشأن[27]. وقد نجح ليندمان في تقديم مخطط شامل لهذا المشروع، ثمّ تبين فشل المشروع لصعوبة التحكم في هيكله الذي كان قائمًا على العديد من الأمور التي لا يمكن تحقيقها.

22 هذه أول وثيقة ألمانية يُذكر فيها عزيز المصري. ولهذه الوثيقة دلالة مهمة، إذ إنها تقدّم بعض الإجابات الخاصة عن التعاون المبكر بين رجال الجيش المصري والألمان. وبما أن عزيز المصري يعتبر الأب الروحي للضباط الأحرار، فقد تجيبنا عن الأسباب التي جعلت عددًا من الضباط الأحرار يتواصلون مع الألمان ومساندتهم في الحرب العالمية الثانية، كما ذكر الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات في مذكراته حينما ألقى الاتحاد الإنكليزي القبض عليه في القاهرة مع أحد الجواسيس الألمان، وتمّ حبسه على إثر ذلك. ويمكن أن يكشف هذا الأمر لنا أيضًا عن جذور تبنّي الضباط الأحرار، فيما بعد، للتيارات الفاشية ومساندتهم لها وكذلك التعاون الذي جرى بعد عام 1952 بينهم وبين ألمانيا الشرقية.

23 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، PA-AA, R15045، 1914، ص 62-63.

24 يبدو أن الوثيقة تشير إلى وباء الكوليرا الذي كان متفشّيًا في ذلك الوقت.

25 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R1504، 1914.

26 يجب تأكيد أن محمد فريد لم يذكر هذه التفاصيل في مذكراته من قريب ولا من بعيد.

27 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 21127، 1914. طلب ليندمان من وزارة الخارجية الألمانية إعطاءه فرصة لتحقيق المشروع، ودعمه ببعض المال، لكن طلبه رُفِض.

بعد مرور عام على خطة ليندمان، وتحديدًا في كانون الثاني/ يناير 1915، قدم محرر صحيفة **أنباء ميونخ** *Münchener Nachrichten*، هانس شميد Hanns Schmid، نفسه للسفارة الإمبراطورية في القسطنطينية، متنكرًا في زيّ "مراسل إيطالي" للذهاب إلى مصر لجمع "أخبار موثوقة". وقد عاش في إيطاليا سبعة عشر عامًا، وبعد التشاور مع هيئة الأركان العامة، قرر العودة مرة أخرى إلى إيطاليا، في هيئة ممثل شركة إيطالية، هذه المرة، من أجل السفر من إيطاليا إلى شمال أفريقيا. وقد تم تكليفه من هيئة الأركان بالقيام بمهمة تقصّي الحقائق لمدة شهرين في الحبشة، ومصر وإرتيريا، وإعداد تقرير أسبوعي[28]. كان من المفترض أن يقدم شميد تقريرًا عن نظرة إنكلترا إلى الشتات الإيطالي في مستعمراتهم، وعن استعداد السكان المصريين على وجه الخصوص للمشاركة في الجهاد، وكان من المفترض أيضًا أن يجمع المعلومات ذات الصلة عسكريًا بمنطقة قناة السويس. وفي 10 آذار/ مارس من العام نفسه، وصلت الأخبار إلى برلين عن وصول شميد إلى بورسعيد، ومن ثمّ واصل مهمته التي انتهت وفق ما كان مقررًا لها، وقد تمت بنجاح من دون أن تتفطّن السلطات البريطانية إلى أمره[29].

وفي 30 نيسان/ أبريل، أرسل شميد تقريره النهائي إلى وزارة الخارجية، متضمنًا الأخبار التي جمعها، والتي تتعلق أساسًا بمصر، وأورد فيه: مصر ستشتعل ما إن ينجح الأتراك في هجومهم على قناة السويس، فالمصريون متقاعسون حتى الآن عن الأعمال الاحتجاجية انتظارًا للهجوم التركي، كما أن البرجوازية المصرية المتعلمة صديقة تمامًا لألمانيا. علاوة على ذلك، فإن القبائل المختلفة في إرتيريا والحبشة (وفق تقرير شميد) تتقبل الدعاية الألمانية، مع ولاء غالبية السكان للإيطاليين (يصف شميد الإيطاليين بأنهم وَدُودُون مع إنكلترا)[30]. وباختصار، فإن لدى شميد انطباع في تقريره بأن "قوة الإسلام قليلة جدًا"، كما أن الشعوب الإسلامية المضطهدة "لن تنهض أبدًا" بمفردها. انتصارات تركيا العسكرية هي التي يمكن أن "تؤدي إلى انتفاضة الإسلام في مصر"[31].

عمدت إلى ذكر تقرير شميد، لأنه من أكثر التقارير التي اطلعت عليها في الأرشيف الألماني، والتي تتمتع بوصف دقيق للأوضاع في مصر، كما أنه يعتبر من القليلين الذين أكملوا مهمتهم بنجاح مبعوثين سريين للخارجية الألمانية في مصر[32]. وفي المقابل، كانت ترسل تقارير عسكرية إلى قيادة الأركان العامة (التي كانت تقوم بالتنسيق مع الخارجية الألمانية) عن التمركز العسكري الإنكليزي في مصر وانتشار القوات في مدن مصرية مختلفة. وعلى الرغم من ذلك، لم تنجح الدعاية الألمانية في القاهرة النجاح المرجو لها؛ فالعديد من التقارير المكتوبة في الأرشيف تعزو الاضطرابات التي سادت بين المصريين في أواخر صيف وخريف 1914، وبخاصة في القاهرة والإسكندرية، إلى الجوع، أو "أعمال شغب القطن"، التي تم إبلاغ وزارة الخارجية عنها في 20 أيلول/ سبتمبر، خاصة لدى سكان الريف بوصف ذلك ردّ فعل فوريًا على أزمة مبيعات القطن نتيجة اندلاع الحرب. وقد كان رد فعل الإنكليز على هذه الاضطرابات المشتعلة بضمان شراء القطن المصري؛ ما وفر مصدر رزق للفلاحين وأدى إلى إخماد هذه الانتفاضة[33].

---

28 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 21127، 1915/1/21.

29 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 21131، 1915/3/1.

30 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 21132، تقرير شميد إلى وزارة الخارجية، 1915/4/30.

31 المرجع نفسه، ص 9.

32 على سبيل المثال لا الحصر، جنّدت السلطات الألمانية العديد من العملاء والجواسيس لجمع معلومات عن الوضع في مصر، ومن بينهم مثلًا الثري الألماني ديرتلن كاوفمان هيرمان Dirterlen Kaufmann Hermann الذي كان في مصر وكتب العديد من التقارير عن الأوضاع، من بينها مثلًا تقرير أرسله في نهاية عام 1914 عن الوضع في مصر ومنطقة القنال بصفة خاصة، يقول فيه: إن قناة السويس مدججة بقوات كثيرة، فهناك قرابة 20000 جندي، إلى جانب 250 جنديًا في الإسماعيلية، في مقابل قرابة 5000 جندي في المنطقة بين الإسماعيلية وبورسعيد، ينظر:
جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA R 15045، تقرير ديرتلن، ص 38-89.

33 يبدو أن الدعاية الألمانية في القاهرة لم تنجح النجاح المرجو لها، فثمّة العديد من التقارير المكتوبة في الأرشيف التي تعزو الاضطرابات التي سادت بين المصريين، في أواخر صيف عام 1914 وخريفه، إلى الجوع في القاهرة والإسكندرية فيما يسمى "أعمال شغب القطن" -والتي تم إبلاغ وزارة الخارجية عنها في 20 أيلول/ سبتمبر – خاصة بالنسبة إلى سكان الريف في رد فعل فوري على أزمة مبيعات القطن نتيجة اندلاع الحرب. كان رد فعل الإنكليز على هذه الاضطرابات المشتعلة بضمان شراء القطن المصري، مما وفر مصدر رزق للفلاحين. ينظر: جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 15046، 1914/12/30.

ثانيًا: المنفى وبناء شبكات التواصل

إلي جانب رصد انتفاضات المصريين المتتالية ضد الإنكليز على نحو دقيق، ودعمها من خلال شبكة جواسيس وزارة الخارجية، عمدت ألمانيا أيضًا إلى تقديم الدعم للقوميين المصريين في المنفى. وقد أتاح الفضاء السياسي في برلين، وكذلك طبيعة الدولة الألمانية بصفتها دولة مضيفة للمنفيين، وداعمة لنشاطات القوميين، أن ينشئوا العديد من شبكات التواصل مثل الصحف والجمعيات وكذلك المؤتمرات إلى جانب الأحزاب والتكتلات السياسية. فقد سعى الخديوي عباس، بدعم من ألمانيا، لإنشاء صحف في فرنسا وإيطاليا. أما في جنيف، فقد أسس الدكتور منصور رفعت النادي الوطني المصري، وأنشأ محمد فهمي لجنة الشباب المصري، وأنشأ أحمد الدرديري جمعية الطلاب المصريين (أبو الهول)، بينما أنشأ كل من الشيخ على الغياتي، ومنصور القاضي صحيفتين مستقلتين في مدينة برن، بدعم من الحكومة الألمانية[34].

في برلين، اضطلع محمد فريد بدور حاسم في ترسيخ المشاعر القومية وتقويتها بين جماعات المعارضة المصرية في المنفى. فقد سمحت الحكومة الألمانية بإنشاء "جمعية تحرير مصر في برلين"، وكان هدف تلك الجمعية كما ورد في الوثائق الألمانية هو تحرير وادي النيل من الاحتلال الإنكليزي وتعزيز أواصر العلاقة بين مصر ودول الوسط (تحالف ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية) من أجل استعادة الوضع السابق كما كان قبل غزو الإنكليز لمصر عام 1882[35]. ويقصد هنا بالوضع السابق عودة مصر تحت سلطة الخليفة العثماني، ولعل هذا ما يفسر وجود تسمية السفير التركي في برلين حقي باشا، راعيًا مميزًا لتلك الجمعية بعد أن تم الإعلان عن تأسيسه، إلى جانب أسماء عدد من الوزراء الأتراك بوصفهم أعضاءً في تلك الجمعية، وهما الوزيران سعيد حليم باشا، الصدر الأعظم، وكذلك أنور باشا وزير الحربية[36]. وفي الوقت ذاته، وجه قادة القوميين المصريين الدعوة إلى العديد من السياسيين الألمان، ليصبحوا أعضاءً في هذه المنظمة الجديدة. وفعلًا، تلقت المنظمة استجابة فاعلة من رجال الدولة البارزين، من أمثال الأدميرال ألفريد فون تيربيتز Alfred von Tirpitz، والزعيم الليبرالي غوستاف ستريسمان Gustav Stresemann، والزعيم المحافظ ويستاروب، الأخ غير الشقيق للإمبراطور الألماني، فون شليجويج هولشتاين Schleswig Holstein، الذي وافق على الانضمام شريطة أن يترأس هو هذا الكيان.

أما بالنسبة إلى المؤتمرات، فقد كان مؤتمر السلام بستوكهولم أحد المؤتمرات الكبرى التي حضرها محمد فريد في تلك الفترة بصفته رئيسًا للحزب الوطني. وقد عقد المؤتمر في السويد، في ستوكهولم، في آب/ أغسطس 1910، وكان مكونًا من مندوبي جمعيات السلام وأعضائها من النخب السياسية المختلفة في مختلف أنحاء العالم، والذين يتم اختيارهم عن طريق جمعيات السلام في كل دولة. ومن أغراضه البحث في منع الحروب وسفك الدماء بين الدول، ومنع استعباد الأمم لبعضها، وإبطال الاستعمار، وجعل كل أمة في العالم حرة تحكم نفسها بنفسها، إلى جانب اعتماد التحكيم أداةً لفض كل نزاع بين دولة وأخرى، أو عدوان أمة قوية على أمة ضعيفة، وجعل أحكام التحكيم نافذة وأداةً مهمة لفض النزاعات. وقد عُقد المؤتمر 17 مرة قبل انعقاده في ستوكهولم، وكان به آلاف الأعضاء من أنصار السلام في مختلف أنحاء العالم، وأصبح أداة قوية للدعاية ومناهضة الاستعمار. واستغل محمد فريد الفرصة للمشاركة في الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر، فراسل المسؤولين عن تنظيمه وإرسال قيمة الاشتراك، وسافر من باريس، حيث كان

34 كان الشيخ علي الغياتي خريجًا مصريًا من الأزهر، وقد عاش في سويسرا خلال الحرب العالمية الأولى وكتب للصحافة الفرنسية والعربية الموالية للوفاق. وهناك درس العلوم الاجتماعية وعمل أيضًا مراسلًا لصحيفة **المؤيد** المصرية. من أجل تجنّب الملاحقة القضائية لنشر مجموعته الشعرية الوطنية – الوطنية. فرّ من مصر في 5 تموز/ يوليو 1910. وكتب محمد فريد مقدمة ديوان الغياتي (مجموعة قصائد)، ما أدى إلى محاكمته، على الرغم من إنكاره لذلك بأنه لم يقرأ القصائد من قبل.

35 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PA-AA, R 20938، 1914.

36 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA R 15053، 1918/8/23، ص 29.

يخضع للعلاج، إلى ستوكهولم، وكان المصري والشرقي الوحيد المشارك في المؤتمر[37]، وكان هذا المؤتمر فرصة كبيرة للتعريف بالحركة الوطنية المصرية ومكوناتها[38].

بعد عامين من مؤتمر ستوكهولم جاء مؤتمر جينيف للسلام، وهو من أهم المؤتمرات التي شارك فيها محمد فريد في منفاه، والذي انعقد بمدينة جينيف السويسرية في 22 أيلول/ سبتمبر 1912. وقد استفاد القوميون المصريون من تجربة فريد ومشاركته في مؤتمر ستوكهولم، فأسسوا جمعية باسم "جمعية السلام العام بوادي النيل"، ليتمكنوا من الانضمام إلى المؤتمر، لضمان المشاركة والتأثير بفاعلية أكبر. فتقدموا بطلب للجنة الدائمة للمؤتمر بمدينة برن السويسرية. وفعلًا، اتخذت اللجنة قرارًا بضم "جمعية السلام العام بوادي النيل" ضمن جمعيات السلام المرتبطة بالمؤتمر، وقد درست لجنة المؤتمر مسألة مصر، وقررت أحقية مطالبها وعرضها على المؤتمر[39]. وشارك فريد في عام 1913 في مؤتمر السلام الذي عقد في مدينة لاهاي Den Haag بهولندا. وكان محاورًا بارعًا ودبلوماسيًا مخضرمًا استطاع أن يكسب التأييد لقضيته التي جاء من أجلها؛ فقد نجح في مؤتمر جينيف، بعد مناقشات متعمقة في الحصول على تأييد الأغلبية، لاستصدار قرار طالب بالانسحاب الفوري للقوات الإنكليزية من مصر. وذكر فريد أن ذلك يتفق مع وعود بريطانيا لمصر، عند احتلالها عام 1882، وطالبها بأن تتذكر تلك الوعود[40].

وبتمويل من الحكومة الألمانية، وفي 18 كانون الأول/ ديسمبر 1917، عقد الحزب الوطني في برلين مؤتمرًا من أجل دعم المقاومة الوطنية والاحتجاج ضد الإنكليز، وقد شارك في ذلك المؤتمر العديد من الساسة الألمان، وفي مقدّمتهم البارون ماكس فون أوبن هايم (أو جاسوس القيصر كما كانت تطلق عليه سلطات الاحتلال الإنكليزي). وكان لأوبنهايم علاقات قوية مع الحركة القومية المصرية، والعديد من الساسة المصريين، وقد بنى تلك العلاقات خلال فترة إقامته في مصر. وحضر المؤتمر أيضًا شخص آخر يدعى "أمهوف باشا"[41].

1. الصحف والدوريات

أشار أحد التقارير التي أرسلها جاسوس من جواسيس الخارجية الألمانية في مدينة برن السويسرية إلى أن نشاطات القوميين المصريين في المدينة تعتبر مهمة جدًّا لتحقيق الدعاية الألمانية، التي تهدف إلى تقديم ألمانيا على أنها صديق وشريك للإسلام والمسلمين يسعى لتحريرهم من الاستعمار، وأنه يجب على ألمانيا تبنّي نشاطات القوميين المصريين، وتقديم الدعم المطلوب لإنشاء صحف ومجلات مختلفة لخدمة هذا الغرض. فالمقالات التي ستكتب والتي ستنشر عن طريق "وكالة أنباء الشرق" الألمانية، لا بد من أن تكون صادرة عن أشخاص لديهم ثقل، ويتمتعون بصدقية كبيرة في بلادهم؛ ما سيمنح الدعاية الألمانية صدقية أكبر. وقد أشار التقرير إلى ضرورة استخدام الشباب المصري في سويسرا، وكذلك محمد فريد، إلى جانب الخديوي عباس في مثل هذه الدعاية والترويج لها.

37 لمزيد من التفاصيل، ينظر: محمد فريد، مذكرات محمد فريد، تحقيق رؤوف عباس (القاهرة: عالم الكتب، 1975)؛ عبد الرحمن الرافعي، **محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية: تاريخ مصر القومي من سنة 1908 إلى سنة 1919** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1948)، ص 208-214.

38 ثمّة نقطة يجب الإشارة إلى موقف الحزب الوطني من عرابي وثورته، فحينما سئل محمد فريد عن الحركة الوطنية، قال: "إن الحركة الوطنية المصرية، هي حركة وطنية ديمقراطية دستورية، ومنذ سنة 1879، أخذ عرابي يطالب بدستور أعطاه الخديوي إيانا في سنة 1881، ولكنكم تعلمون أن الإنجليز انتهزوا فرصة الجدال القائم بين الخديوي والبرلمان، وتدخلوا في المسألة بقوتهم، وسرعان ما أطلقوا قنابلهم على الإسكندرية، وتسلطوا على البلاد هنا لا بد من الإشارة إلى أن مطلب الدستور والاستقلال هما الأساس الذي أقام عليه الحزب الوطني كفاحه الوطني، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحزب الوطني كان رافضًا لما فعله عرابي، على أن نقطة الدستور هذه من الأمور التي نادي بها عرابي، وتلقفها الحزب الوطني، والسؤال الآن: لماذا كان موقف الحزب الوطني رافضا لعرابي وحركته، طالما أن المطالبة بالدستور كان أحد مطالبه؟". لمزيد من التفاصيل بشأن مؤتمر ستوكهولم، ينظر: الرافعي.

39 لمزيد من التفاصيل بخصوص المؤتمر ينظر: فريد؛ الرافعي، ص 312.

40 كانت الطريقة الدبلوماسية التي يتحدث بها محمد فريد لا تروق عددًا من الأفراد داخل الحزب الوطني، خاصة الجناح المتشدد بقيادة منصور رفعت، وهو الذي أسس فيما بعد الحزب الراديكالي، ينظر: Trefzger, p. 51.

41 الرافعي، ص 373.

قدّم الألمان الدعم المالي للخديوي عباس نفسه لإنشاء عدد من الصحف، وقد كان الدعم المالي الذي تلقاه الخديوي عباس حلمي الثاني في هذه الفترة كبيرًا وتجاوز الملايين. ففي تشرين الأول/ أكتوبر 1914، انتقل الخديوي عباس إلى جينيف، وهناك قابل مساعد وزير الخارجية الألماني فون جافو Von Gavo، وشرح له خطته واعتزامه إنشاء صحف في عدة دول أوروبية، من بينها إيطاليا وفرنسا من أجل تحقيق السلام. وعند سؤاله عن الأشخاص المنخرطين في هذه الخطة، ذكر له الخديوي: في إيطاليا سيكون كافيليني وعدلي باشا يكن مسؤولين عن الصحيفة، وفي فرنسا سيكون بولو باشا هو المسؤول[42]. بعد ذلك مباشرة، تلقى الخديوي عباس طلبًا بإرسال أحد مبعوثيه إلى برلين للتفاوض في الدعم الذي سيتلقاه من الخارجية الألمانية، وذكر أحد التقارير الموجودة في الأرشيف الإنكليزي أن الخارجية الألمانية حددت دعمًا مقداره خمسة ملايين مارك ألماني لتقديمه إلى عباس من أجل هذا الغرض[43]. وقد نقل عدد من الوثائق الألمانية أنه أثناء زيارات الخديوي عباس المختلفة إلى سويسرا تقابل مع بولو باشا، وذكر له أن الألمان وافقوا على تمويل عملية إنشاء الصحف بملغ خمسة ملايين مارك ألماني، وأن المبلغ سيتم تحويله على دفعات (مليون مارك كل شهر)، إلا أن بولو باشا ذكر له أن هذا المبلغ لن يكون كافيًا، وأن الخطة تحتاج قرابة عشرة ملايين مارك، تُحوّل على خمسة أشهر؛ ما يعني مليوني مارك شهريًّا. وحينما عرض الخديوي عباس هذا الأمر مجددًا على الألمان، وافقوا على هذا المبلغ. كانت الحجة التي ساقها الخديوي عباس للألمان أنه يريد إنشاء هذه الصحف خاصة في فرنسا من أجل إقامة سلام بين ألمانيا وفرنسا[44].

كان إنشاء الصحف بالنسبة إلى القوميين المصريين أمرًا مهمًّا، فأصدروا العديد منها بلغات مختلفة، مثل العربية والألمانية والفرنسية. وقد ارتبطت عملية الإصدارات هذه بالعمل التنظيمي، فكل تنظيم يتم إنشاؤه كان يرافقه إصدار عدد من الصحف أو الدوريات التي تشرح فكره ومبادئه وتروج لنشاطاته وفاعلياته. على أن هذا العصر كان عصر التنظيمات وعصر الإصدارات، كما أن ارتباط فكرة الإصدارات بفكرة التنظيم خاصة داخل العمل السياسي تعود إلى الحزب الوطني، فمصطفى كامل مؤسس الحزب أصدر من قبل صحيفة **اللواء** عام 1900 التي كان يقدر عدد إصدارتها سنويًا بقرابة عشرة آلاف نسخة[45].

تعتبر **تقدم الإسلام** *Le Progrès de l'Islam*، وهي صحيفة فصلية، باكورة إصدارهم من الصحف، وقد أنشأها محمد فريد عام 1913، ويعود اسم الصحيفة إلى اتحاد كان يحمل الاسم نفسه "تقدم الإسلام"[46]. وكان ذلك فرصة لأعضاء الحزب الوطني والعاملين في الصحيفة أن يكتبوا ويعبروا عن أفكارهم تجاه القضية التي كانوا يدافعون عنها، وقد استمر إصدار صحيفة **تقدم الإسلام** عامًا ونصف العام، ثم توقفت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى[47]. وفي عام 1915، أصدر محمد فريد أيضًا صحيفة أخرى اسمها **صدى مصر** *L'Echo de l'Egypte*، واستطاع من خلالها أن ينشر وجهات نظره وسياسات حزبه واعتبرت حينها لسان الحزب الوطني. ولم تستمر هذه الصحيفة طويلًا وأغلقت بعد صدور عددها الثاني، وكان رئيس تحريرها محمد فهمي، رئيس لجنة الشباب المصرية في جينيف، وكان يحمل الجنسية السويسرية[48].

---

42 FO 141/648/1, 1917.

43 Ibid.

44 Ibid.

45 كان هذا العصر هو عصر التنظيمات على مستوى العالم، وكذلك عصر الإصدارات، ففي مصر مثلًا وجدت صحف أخرى مثل صحيفة **الأهرام** (1875)، و**المؤيد** (1889)، و**المنار** (1898) التي أنشأها رشيد رضا، أحد تلامذة محمد عبده، وقد أدّت هذه الإصدارات دورًا كبيرًا في الحياتين السياسية والثقافية في مصر والعالم العربي. لمعرفة المزيد بخصوص دور هذه الصحف في الصحافة، ينظر:
Robert L. Tignor, *Modernization and British Colonial Rule in Egypt, 1882-1914* (Princeton: Princeton University Press, 1966), pp. 249-291.

46 تأسس هذا الاتحاد مع نهاية عام 1912 وبداية عام 1913 على يد محمد فريد وبعض الشرقيين، وقد انضم إليه الكثير من الشرقيين والمهاجرين من الدولة العثمانية آنذاك، وكان الهدف منه تشكيل منتدى يتم فيه مناقشة قضايا ومشكلات شعوبهم ومحاولة وضع تصورات وحلول لها.

47 Trefzger, p. 52.

48 Ibid.

ساهم خلع الخديوي عباس من سلطات الاحتلال الإنكليزي في رأب الصدع، ولو على نحو مؤقت، بين القوميين المصريين، خاصة محمد فريد والخديوي عباس. ففي صحيفة **صدى مصر** التي تأسست في آذار/ مارس 1915 بدعم ألماني، نشر محمد فريد مقالتين، الأولى تحت عنوان "الحرب ومصر" "La guerre et L'Egypt"، أوضح فيها أن القوميين المصريين لا يعترفون إلا بعباس حلمي الثاني خديويًّا على مصر، وبسيادة السلطان العثماني، ويرفضون الاعتراف بالسلطان حسين كامل، الذي عينته سلطات الاحتلال بديلًا من الخديوي عباس حلمي الثاني[49]. أما مقالته الثانية، فقد جاء فيها أن المعارضة المصرية، وكذلك الشعب المصري، على يقين بأن الجيش التركي سوف ينتصر، وفي إمكان القوات التركية، وحليفتها القوات الألمانية، تحرير مصر من الاحتلال الإنكليزي. وفي مقالة أخرى في صحيفة **تقدم الإسلام**، هدف إلى جلب دعم الشعب للحكومة التركية، وطالب الشعوب الإسلامية بأن تتحد تحت زعامة السلطان العثماني الذي يقود حرب التحرير ضد القوي الاستعمارية. لكن بعد فشل حملة قناة السويس، أخذ محمد فريد يغير رأيه في تركيا وألمانيا في آن واحد. كان فريد يفكر في اتحاد إسلامي على غرار الاتحاد الألماني بقيادة العثمانيين، مع تمتع كل دولة إسلامية بالحكم الذاتي والمشاركة في الحقوق المتساوية مع الأتراك، وهو موقف يؤكد رفضه للتبعية والبقاء تحت سلطة الأتراك المباشرة، أو معاملة مصر كأنها ولاية تركية، وهذا من أسباب الخلاف الحاد بين فريد وأعضاء حزب الاتحاد والترقي. غير أن محمد فريد قد أفصح عن رأيه هذا، وهو عملية الاستقلال الكامل، أو حق تقرير المصير في مؤتمر القوميات الذي تم عقده في لوزان عام 1916. وقد تحدث في هذا المؤتمر عن الشعوب المضطهدة من الاستعمار، وعن حق تلك الشعوب في تقرير مصيرها، مؤكدًا أن مصر التي تسير في ركب الحضارة المدنية منذ مئة عام، وسبق لها أن حكمت نفسها بنفسها لن تقبل أبدًا أن تعاملها أي جهة أجنبية على أنها مستعمرة[50]. في الوقت نفسه، امتنع فريد عن إلزام نفسه بالدعاية الإسلامية الألمانية، لذلك حينما اتصل به المكتب الخارجي للدعاية الألماني للمشاركة في تحرير صحيفة **الجهاد**، التي تتعلق بالعالم الإسلامي، والتي صدرت عام 1915 ونُشرت بلغات مختلفة، من بينها اللغة العربية، رفض المشاركة في تلك الصحيفة، بينما وافق جاويش على الانخراط والكتابة فيها. فقد كان لدى جاويش رؤية مخالفة لرؤية محمد فريد؛ إذ كان مؤيدًا للخليفة العثماني، ويرى ضرورة الانضواء تحت راية الدولة العثمانية.

ولعل هذا ما دفعه إلى تولّي مهمة نشر صحيفة **العالم الإسلامي** *Die islamische Welt* في برلين لصالح حزب الاتحاد والترقي[51]، وكان جاويش يشغل منصب رئيس التحرير، ونائبه عبد المالك حمزة. وفي 19 تشرين الثاني/ نوفمبر 1916، اجتمع القوميون المصريون، والدبلوماسيون العثمانيون والأتراك، وممثلو الحكومة الألمانية في برلين، وعدد من المثقفين والكتاب الألمان، للاحتفال بالطبعة الأولى من صحيفة **العالم الإسلامي**، وقد عكست المجلة تقارب مصالحهم في التحالف العثماني الألماني. وبحلول صيف عام 1918، أقيم الاحتفال في فندق إسبلانادي Esplanade، وأظهرت الطبعة الأخيرة من المجلة مدى تشكيل مجموعات المصالح الاقتصادية والاستعمارية للسياسة الألمانية تجاه الإمبراطورية العثمانية[52].

في البداية، ركّز جاويش ونائبه عبد المالك حمزة على "تعزيز العلاقة بين ألمانيا والإسلام وجعلها ودية بشكل دائم على أمل أن يقود الرايخ الشعوب الإسلامية للخروج من التبعية والانحلال إلى مرتفعات التجديد والحرية المشرقة المشمسة"[53].

---

49 Ibid.

50 Ibid.

51 Arthur Goldschmidt, "Egyptian Nationalist Party 1882–1919," in: P. M. Holt (ed.), *Political and Social Change in Modern Egypt: Historical Studies from the Ottoman Conquest to the United Arab Republic* (London: Oxford University Press, 1968), p. 329.

52 نُشرت *Die Islamische Welt*، في برلين في الفترة تشرين الثاني/ نوفمبر 1916-آب/ أغسطس 1918، من أصل 16 طبعة من المجلة، وهي موجودة كلها بمكتبة برلين Staatsbibliothek.

53 Gerhard Höpp, *Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915-1945* (Berlin: Das Arabische Buch, 1994).

وكان هناك تعاون ألماني - تركي عسكري، أو ما أُطلق عليه الأخوة الألمانية - التركية في السلاح، وقد كرست المجلة نفسها في وقت لاحق لموضوعين آخرين: توطيد العلاقات العربية - التركية في إطار القومية الإسلامية، ونشر جهود استقلال مصر والمغرب العربي على نحو خاص. وحذّر عبد المالك حمزة، على وجه الخصوص، من خطورة أن تفقد الإمبراطورية العثمانية "التي تقوم عليها كل آمال المسلمين" وحدتها واستقلالها، وأن "سقوطها في أعماق التبعية يهدد بإبادة كل آفاق الحرية الإسلامية". وفي الوقت نفسه، عارض "تقييمًا مهينًا" لطاقة الشعوب الإسلامية، مدعيًا أن معظمهم "اغتنموا كل فرصة متاحة لمواجهة أعدائهم بالسلاح"[54].

الصفحة الأولى من العدد 2-3 من مجلة "العالم الإسلامي" (1918)

المصدر:

Die Islamische Welt, vol. 2, no. 2-3 (1918).

هذا الموقف المتباين لأعضاء الحزب الوطني كان أحد الأمور التي أضعفته، وأدت إلى عدم توحيد صفوف أعضائه خلف وسيلة إعلامية واحدة في أي وقت من الأوقات. وفي تلك الفترة أيضًا، بدأت السلطات السويسرية في حجب عدد من الصحف التي ينشرها القوميون المصريون، وقد كان توجه السلطات السويسرية هذا مدفوعًا بمنع الصحف المعادية لدول الوفاق، والمؤيدة لدول الوسط[55]. وعلى الرغم من المنع الذي شمل العديد من وسائل الإعلام المنشورة، وكذلك مصادرة صحيفة أخرى تابعة للقوميين المصريين، لأن برنامجها السياسي كان يقترب من وجهات نظر القوميين المصريين المؤيدين للحزب الوطني، فإن محمد فريد ورفاقه استفادوا من وسائل أخرى غير ممنوعة، من بينها إحدى النشرات الورقية التي نُشر منها ثلاثة أعداد في أعوام 1915-1917-1919، على أن العدد الأخير الذي صدر عام 1919 كان قبل فترة وجيزة من وفاة محمد فريد. وقد كتب فريد في هذا العدد مقالًا عن

54 Ibid.

55 Trefzger, p. 58.

الثورة المصرية عام 1919 بعنوان: "دراسة الأزمة العثمانية الراهنة" "Etude sur la crise ottomane actuelle"، وفيه أشاد بالمواقف الإيجابية المستمرة للوطنيين المصريين الداعمة والمساندة لتركيا، وأثنى على صداقتهم مع ألمانيا[56].

بعد وفاة محمد فريد صدرت صحيفة **الأفكار**، وكانت مقربة من الحزب الوطني المصري. وقد أشار أحد التقارير الدبلوماسية إلى تدفق الطلاب المصريين على ألمانيا قبل ذلك، وهو ما حذر بشأنه رئيس البعثة الدراسية المصرية في جنيف، جول جاجنو، وزارة التربية والتعليم في القاهرة قبل شهرين. ففي نهاية كانون الثاني/ يناير أفاد أن "اللجنة القومية المصرية في برلين" التابعة للحزب الوطني، كانت تقوم بدعاية نشطة لتجنيد الطلاب الناطقين باللغة العربية في ألمانيا، وخاصة المسلمين، وقد كانت مغادرة الطلاب المصريين لسويسرا في اتجاه برلين بناء على طلب الخارجية الألمانية وبمساعدة الحزب الوطني. ومع بداية عام 1920، اعتبر جاويش، الذي ترأس الحزب الوطني بعد وفاة محمد فريد، والذي أقام في برلين وأدار شركة الاستيراد والتصدير "وادي النيل" الرجل الأهم لدى دبلوماسيي الخارجية الألمانية؛ إذ أدى دورًا مهمًّا في حث الطلاب المصريين وتحريضهم على ترك سويسرا، والتوجه نحو ألمانيا. فقد كتب إليه كيرت بروفر (1881-1959)، المسؤول المعروف في وزارة الخارجية حينها، ليطلب منه مساعدة الطلاب القوميين المصريين على مغادرة سويسرا، وأيد بوغن ونزداي، مدير معهد الشرق الألماني الذي انبثق من المكتب الإخباري هذا الطلب المقدم من الخارجية[57]. وفي تموز/ يوليو من العام نفسه، دعا هانز شميزر، عضو المعهد الشرقي بجامعة فيينا، إلى دخول طلاب مصريين من النمسا إلى ألمانيا، وكان شميزر يشير هنا إلى وجهة نظر شاركه فيها عدد غير قليل من العرب في ذلك الوقت، ولا سيما من الوسط القومي، مفادها أن ألمانيا التي تم إخضاعها في اتفاقية فرساي، وجدت نفسها في وضع مماثل للعرب والمسلمين الآخرين المضطهدين من استعمار دول الوفاق، ومن ثمّ يجب أن تكون حليفًا لهذه الدول المضطهدة. ومن الواضح أن شميزر كان يسعى للحصول على مؤيدين من المصريين القادمين إلى برلين. ففي وقت مبكر من تشرين الأول/ أكتوبر 1920، ذكر تقرير لجهاز المخابرات السرية التابع لوزارة الخارجية البريطانية أن معظم الطلاب المصريين في ألمانيا هم "شباب ذوو ميول قومية"، ومعظمهم ينتمون إلى عائلات كان لجاويش علاقات وثيقة بها في الماضي، واليوم يتحمل في كثير من الحالات مسؤولية هؤلاء الطلاب الموجودين في ألمانيا[58].

أُسست أيضًا مجلة أخرى تسمى **المراسلات المصرية**، بين عامَي 1921 و1924، وقد بدأت نصف شهرية، وتحولت لاحقًا إلى مجلة شهرية، وكان رئيس تحريرها هو عبد الغفار متولي. ومثّلت المجلة منتدى للتقارير والتحليلات والبيانات حول الوضع السياسي في مصر، إلى جانب مقالات عن التاريخ والثقافة المصرية، وتقارير عن الأحداث السياسية، وبيانات لمنظمات مصرية أخرى في المنفى، وترجمات من الصحافة البريطانية والمصرية. كان الهدف من تلك المجلة هو إعطاء المصريين المنفيين صوتًا، لكنه أتاح أيضًا فرصة لعلماء المصريات والمستشرقين الألمان لنشر مقالاتهم؛ ففي عدد من أعداد المجلة كتب أحد المستشرقين الألمان، وهو هولجر جيز H. Gies تقريرًا عن لقاء نظمته المعارضة في ذكرى ثورة 1919: تم في هذه الليلة غناء أغنية مطلعها "Deutschland". وعلى حد تعبيره، ترمز هذه الأغنية إلى التقارب غير المتوقع إلى حد ما بين نشاط المهاجرين والقومية الألمانية.

كانت مقالات المجلة متنوعة، فتارة تشرح التشابه بين مصر وألمانيا، خاصة الوضع الجديد الذي أصبحت فيه ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وفرض مزيد من القيود والديون عليها. كانت مقالات عديدة في تلك المجلة تشرح أيضًا أثر الاستعمار في الاقتصاد المصري، ووصفت الاستعمار الإنكليزي لمصر بأنه احتكار وتقييد للتجارة، والاستيلاء غير القانوني على الممتلكات،

56 Ibid.

57 BArchP, Auswärtiges Amt, Film 28184, Bl.116,121und114.

58 Höpp, *Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915-1945*.

وأن منع التنمية الزراعية والصناعية، والضرائب المفرطة، عوامل أدت إلى جمود التنمية، وهكذا عمل الاستعمار في أعين القوميين المصريين قوةً سلبية قسرية ومحددة بصفة شبه حصرية، ناهبًا للثروة الموجودة ومانعَ تحديث لمبادرات الإصلاح.

2. إنشاء حزب سياسي

في المنفى تتغير القواعد، وتضاف أبعاد جديدة لم تكن موجودة من قبل في العملية السياسية؛ فالبيئة والظروف وكذلك الدولة المضيفة تفرض واقعًا وقواعد جديدة على الأطراف الفاعلة في العملية السياسية في المنفى. كانت تجربة المنفى تلك واحدة من التجارب الكبرى التي مر بها القوميون المصريون؛ فبعد وفاة مصطفى كامل، أصبح محمد فريد رئيسًا للحزب الوطني، وتم انتخابه ليصبح رئيسًا للحزب مدى الحياة. وقد أقام فريد في برلين حتى وفاته عام 1919، واستقر فاعلون قوميون آخرون في سويسرا واعتبروها القاعدة الأساسية لنشاطاتهم المختلفة في أوروبا. ففي عام 1908، تم تشكيل اللجنة الدائمة لمجموعة الشباب المصريين برئاسة محمد فهمي، وأُعلن رسميًّا عن تلك اللجنة، واتخذت من جنيف مقرًّا لها. كان فهمي قادرًا على تولّي منصب قيادي بين المصريين المقيمين في جنيف، وأماكن أخرى في سويسرا وأوروبا، ومع اندلاع الاضطرابات في مصر بعد الحرب العالمية الأولى، كان عليه أن يتخلى عن مطالبته بالقيادة داخل الحركة الوطنية المصرية في أوروبا ومواصلة النضال الوطني من أجل الحصول على الحكم الذاتي والاستقلال الكامل لمصر، وإعطاء الراية لحزب الوفد برئاسة سعد زغلول[59].

وحينما ظهر محمد فهمي علنًا في عام 1908، بصفته رئيسَ لجنة الشباب المصري، امتدت نشاطاته القومية في البداية لتشمل الإعلان والتعبئة وعقد اجتماعات ومؤتمرات الشباب المصري، بهدف توحيد القوميين المصريين والطلاب الذين يعيشون في أوروبا حول نهج مشترك، وتعزيز المطالب الوطنية للمصريين بين الجماهير الأوروبية والسويسرية[60]. وفي نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر 1908، بدأت الصحف السويسرية البارزة للمرة الأولى في تغطية مؤتمر لجنة الشباب المصري المقرر عقده في جنيف في العام التالي. إضافة إلى ذلك، أصدر فهمي في أيار/ مايو 1909، بصفته رئيسًا للجنة، نداءً خاصًا في الصحافة؛ ليس فقط المصريين، بل أيضًا للأوروبيين المهتمين بموضوعات مصر وقضية الشعب المصري. وقد عُقد المؤتمر الثاني للشباب في جنيف في الفترة 13-15 أيلول/ سبتمبر 1909 وشارك فيه القوميون المصريون، الذين أصبحوا معروفين فيما بعد على نطاق واسع في أوروبا، إلى جانب أعضاء من حزب العمال البريطاني وفي مقدّمتهم زعيم الحزب كير هاردي، إلى جانب عدد من القوميين الإيرلنديين، وحاز المؤتمر تغطية واسعة من الصحافة السويسرية[61].

بعد هذا الظهور الأول للشباب المصري، الذي اجتذب قدرًا كبيرًا من الاهتمام في سويسرا، لفت محمد فهمي الانتباه إلى نفسه في ربيع 1910 باحتجاجاته التي قدمها إلى الصحف السويسرية الكبرى على عدد من المقالات التي تنشرها. فمثلًا، قدم احتجاجه على تقرير نشرته إحدى الصحف السويسرية، بناءً على برقية وردت إليها من القاهرة، تفيد أن إبراهيم الورداني، قاتل رئيس الوزراء المصري بطرس باشا، كان حاضرًا في مؤتمر الشباب المصري لعام 1909؛ ليس بصفته مراسلًا لصحيفة **اللواء** القومية المصرية، بل بصفته سكرتير لجنة الشباب التي يترأسها فهمي.

---

59 Manela.

60 Ibid.

61 ولد جيمس كير هاردي، مؤسس حزب العمال البريطاني، في 15 آب/ أغسطس 1856، في نيوهاوس، بإسكتلندا. أصبح سياسيًا إسكتلنديًا مهمًا، ورائدًا للاشتراكية في المملكة المتحدة ونقابيًا مؤثرًا. كان شخصية سياسية حاسمة وأصبح أول عضو عمالي في البرلمان وأسس الحركة التي كانت دعامة أساسية في السياسة البريطانية منذ ذلك الحين. ساهم هاردي بقوة في النضالات المصرية والهندية من أجل الحرية". ينظر:
"Ker Hardie, *Historic UK*," accessed on 20/11/2024, at: https://bit.ly/4fOdcTa

جعل هذا الحضور المتعدد، بهذا الزخم الواسع، برلين تسارع بمد يد العون والدعم لهؤلاء الشباب الموجودين في سويسرا[62]. وقد كان لقرار ألمانيا المتمثّل في تقديم الدعم لهؤلاء الشباب سببان، أولهما: أن سويسرا كانت منطقة جذب للقوميين المصريين، وتعتبر محايدة من وجهة نظرهم بعدم تورطها في الحرب، كما أن التواصل مع بلادهم كان يتم بسهولة، على خلاف ألمانيا التي كان التواصل فيها مع بلادهم يتميز بنوع من الصعوبة، لهذا السبب أنشأت "وكالة أنباء الشرق" الألمانية فرعًا لها في زيورخ في سويسرا للتواصل مع هؤلاء المنفيين وتلقي المعلومات وتجنيد عدد منهم للعمل داخل الوكالة ومراقبة الآخرين والدفع قدمًا بخطة الدعاية الألمانية[63]، وقد كان من ضمن العاملين في القسم العربي لـ "وكالة أنباء الشرق"، منصور رفعت (الذي أسس فيما بعد الحزب الراديكالي المصري). أما السبب الثاني، وقد تمت الإشارة إليه في مطلع الدراسة، فهو أنه كان يوجد تضامن كبير مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وهو تضامن مبني على أسس دينية، من الشعب المصري مع الأتراك، وكانت هناك أخبار تتوارد عن وجود مؤشرات لقيام ثورة في مصر ضد الإنكليز، وهذا ما جعل بريطانيا تفرض حصارًا على مصر إلى حد العزلة الدولية؛ فلا تكاد تخرج أخبار منها، إلا ما تريده الرقابة البريطانية. لذلك، سعى الألمان لإيجاد طرائق للتأثير في الشعب المصري بعيدًا عن الرقابة البريطانية، من أجل تمرير الخطة الألمانية الهادفة إلى تثوير العالم الإسلامي، وإبراز ألمانيا صديقًا وشريكًا للإسلام والمسلمين. وكما سبق ذكره، وجدت وزارة الخارجية الألمانية بين أوساط الحركة الوطنية المصرية النشطة في سويسرا دعمًا كبيرًا لها[64].

في الوقت ذاته، أراد البريطانيون أيضًا كسب ولاء القوميين المصريين الموجودين في سويسرا، فعقدوا معهم لقاءات لإقناعهم بفكرة إنشاء حزب سياسي تحت رعاية بريطانيا. ففي تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، تفاوض رجل بريطاني في سويسرا سرًّا مع العديد من القوميين المصريين بشأن تشكيل حزب سياسي جديد يضم قيادات المعارضة المصرية، خاصة الذين يتمتعون بمكانة وتقدير لدى عموم المصريين ليتمكنوا من ممارسة النفوذ عليهم[65]. وحاول البريطانيون أن يقنعوا المصريين بأن الهدف الأول والمباشر لتشكيل حزب سياسي هو بناء جيش مصري خاص بهم، وقد أغرتهم الحكومة البريطانية في الوقت ذاته بوعد عظيم، وهو احتمالية قيام حكومة مصرية مستقلة في دولة مستقلة. وفعلًا، في عام 1917، تم إطلاق الحزب الجديد، تحت اسم حزب الشباب المصري الليبرالي، وعلى الرغم من نجاح البريطانيين في تجنيد أشخاص لحسابهم، أبرزهم إسماعيل لبيب، أقرب مساعدي محمد فريد ونائب رئيس الحزب الوطني، فإنه قد ساد موقف مؤيد لألمانيا ومؤيد لتركيا داخل صفوف هذا الحزب المؤسس حديثًا. ومع ذلك، فإن الشباب المصريين، مثل العديد من السياسيين المؤيدين لسياسة الجوار الأوروبية، كانوا منقسمين بشأن تركيا. فحينما حارب الأتراك ضد البريطانيين في تحالف عسكري مشترك مع ألمانيا، وجدوا دعمًا واسعًا بين الشباب المصريين، لكن هذا الدعم قد تضاءل على نحوٍ متزايد مع تضاؤل احتمالات النجاح العسكري ضد الإنكليز[66].

وبعد تأسيس حزب الشباب الليبرالي المصري، تم التخطيط لإصدار مطبوعات يقوم فيها الطلاب المصريون في سويسرا بإلغاء تعاطفهم السابق مع ألمانيا وتركيا علانية. وقد خطط البريطانيون لاستخدام أمرين أساسيين في المقالات المزمع نشرها، والتي تدعو إلى إلغاء التعاطف مع الأتراك والألمان. أولهما استخدام المسألة القومية وربطها بالحياة الثقافية للمصريين، إلى جانب مسألة الدونية

62 تجدر الإشارة إلى الخلافات التي كانت بين الحزب الوطني في برلين بقيادة محمد فريد، ثم لجنة الشباب المصرية بقيادة محمد فهمي، إذ كان دائم الخلاف مع محمد فريد، إلى جانب الحزب الراديكالي بقيادة منصور رفعت.

63 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، PA-AA, R 21263، 1915.

64 المرجع نفسه.

65 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA, R 150551 1917/11/20، ص 51؛ PAAA, R 21263، 1915.

66 Landau, p. 120;

جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA R, 15050، ص 139-142؛ PAAA, R 21263، 1915.

الثقافية التي كان يراها الأتراك، مقارنة بالمستوى المصري. وثانيهما هو كشف النيات السيئة لألمانيا تجاه مصر، وإن كانت ألمانيا ستمنح مصر استقلالًا حقيقيًا، وهو ما تم نشره تحت عنوان: "ألمانيا والنيات السيئة تجاه مصر"[67]. ولعل هذا هو موقف محمد فريد الذي عبر عنه في مذكراته، بأنه كان يرى أن الألمان يريدون احتلال مصر بدلًا من الإنكليز، وأنه متشكك في نياتهم تجاه نيل مصر لاستقلالها إذا ما انتصروا في الحرب[68]، وهذا سيؤثر في موقف المصريين الذين عارضوا سابقًا الاستمرار تحت سلطة الاحتلال الإنكليزي، وسيخلصون ببساطة إلى استنتاج مفاده أن خلاص وطننا الحبيب لا يكمن إلّا في الاتحاد مع إنكلترا وليس مع تركيا أو ألمانيا[69].

في شتاء 1918، وصل البريطانيون إلى نتيجة مفادها أنه لم يكن عليهم الترويج لموضوع تأسيس الحزب بسرعة كبيرة؛ لأن المصريين الذين تم تجنيدهم لم يظهروا الدعم والقدرة الكافيين لتحقيق ما كان يسعى له البريطانيون. وقد كان الأساس الحاسم لفشل فكرة تأسيس الحزب هو الصعوبة الكبيرة في إيجاد الشخصيات السياسية المؤثرة بين أوساط المصريين في المنفى لدعم البريطانيين في خطتهم.

في الأشهر التي تلت ذلك، وبعد أن عرف الألمان الخطة الإنكليزية المتعلقة بتأسيس حزب سياسي برعاية بريطانية، ومعرفة أسباب فشله، خاصة التضارب في وجهات نظر أعضائه بشأن دور بريطانيا المستقبلي في مصر، سعوا لاستغلال ذلك من خلال بناء نفوذ أكبر بين القوميين المصريين في سويسرا، وتقديم دعم مالي أكثر[70]. وقد تركزت الجهود الألمانية في البداية على إسماعيل لبيب، نائب رئيس الحزب الوطني، الذي نجح الإنكليز في تجنيده للعمل لصالحهم، بهدف إفشال الخطة البريطانية. وفي أوائل صيف 1919 ظهرت، أول مرة، في الوثائق الألمانية فكرة إنشاء اتحاد/ حزب سياسي جديد للسياسيين المصريين في المنفى، ومن الواضح أن فكرة إنشاء هذا الحزب تستند بوضوح إلى مبادرة ألمانية لإفشال الخطة البريطانية[71]، وبما أن الحزب الوطني كان موجودًا بالفعل، فقد تركزت الاعتبارات الألمانية على إنشاء حزب جديد يضم السياسيين البارزين في هذا الحزب، خاصة محمد فريد، الذي كان منخرطًا في البداية في الجناح الإسلامي، الذي كان يؤيد الانضمام إلى الدولة العثمانية أو دولة الخلافة (بقيادة جاويش) إلى جانب محمد

67 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA, R 15051، ص 52؛ 1915، PAAA, R 21263.

68 توجد العديد من المراسلات التي يحتفظ بها الأرشيف الألماني عن رغبة محمد فريد في مغادرة سويسرا إلى برلين، وقد حاول مرارًا وتكرارًا الحصول على تأشيرة ألمانية في تشرين الثاني/ نوفمبر 1916–كانون الثاني/ يناير 1917، لكن طلبه كان يُرفَض كل مرة. إحدى هذه الوثائق، التي تحمل رقم PAAA 15050، ذكرت أن رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية في جينيف أرسل استفسارًا إلى برلين، ذكر فيه أن محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني، أبلغ مستشار المفوضية السيد ماروم أنه يرغب في التوجه إلى برلين، في كانون الأول/ ديسمبر 1916، لإجراء مقابلات مع سياسيين في وزارة الخارجية الألمانية، ومناقشة بعض القضايا المهمة معهم، وطلب المفوض من خارجية بلاده التعليمات أو الخطوات التي يجب أن يقوم بها، تجاه محمد فريد، الذي يحمل جواز سفر تركي، وإن كان جوازه التركي يفي بمتطلبات منحه التأشيرة للدخول إلى ألمانيا. وقد تم الرد على محمد فريد بردود غير مقنعة، وفيما يتعلق بنقطة مناقشة المعلومات المهمة، تم الرد عليه بأنه يستطيع إبلاغها إلى البارون روميرج الذي سينقلها إليهم. أدرك فريد أن الألمان تصرفوا بهذه الطريقة لصالح حكومة حزب الاتحاد والترقي الذين كانوا على علاقة سيئة مع القوميين المصريين، خاصة المجموعة المحسوبة على جناحه. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، بعثت الخارجية الألمانية برسالة إلى سفارتها في سويسرا تضمنت عدم الموافقة على منح محمد فريد تأشيرة لزيارة برلين، وأن الألمان كانوا لا يريدون منح فريد هذه التأشيرة حتى لا يغضبوا حليفهم التركي. تقدّم فريد مرة أخرى بالحصول على تأشيرة ولم يتلقَّ أي ردّ، مما دفعه إلى الكتابة إلى وكيل وزارة الخارجية الألمانية زيمرمان الذي أصبح وزيرًا للخارجية، ويبدو أن هذا الخطاب الذي بعثه فريد لوزير الخارجية الألمانية جعله يحصل على التأشيرة، فسافر في فجر يوم 23 كانون الثاني/ يناير 1917 من سويسرا متجهًا إلى الأراضي الألمانية عبر حدود مدينة جوتمارنجن التي وصلها يوم 25 / يناير 1917. وتابع الألمان مغادرة فريد باهتمام شديد، فقد كان يحظى بمكانة كبيرة لدى السياسيين الألمان، وقد كتبت العديد من التقارير في هذا الموضوع، من بينها تقرير كتبه المخبر السري لدى البعثة الألمانية في سويسرا، وقد كان له اسم حركي (ياكوبي Jakobi)، في 25 كانون الثاني/ يناير 1917، ذكر فيه أن الهدف الرئيس من زيارة محمد فريد إلى ألمانيا هو مقابلة السفير التركي (جاويد بك) في برلين. وعلى الرغم من المسافة التي اتخذها الألمان من فريد، فإنه لم يتم قطع العلاقات مع القوميين المصريين.

69 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA R 15051، 1918/2/8، 90f؛
Mahmoud Kassim, *Die diplomatische Beziehungen Deutschlands zu Ägypten 1919-1936* (Münster/ Hamburg: LIT- Verlag, 2000), p. 41.

70 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA 15052، 1918/6/20، ص 32.

71 المرجع نفسه.

فهمي رئيس لجنة الشباب المصري في جنيف. كانت الصعوبة الأكبر لألمانيا تتمثل في التغلب على الآراء المتناقضة التي عبّر عنها قادة الأجنحة المختلفة داخل الحزب الوطني، إضافة إلى ذلك، فإن ألمانيا كانت هي القوة الدافعة وراء فكرة إنشاء هذا التحالف/ الحزب الجديد، وكان هناك نوع من التكتم حتى لا يتم بأي حال من الأحوال الكشف علنًا عن أن ألمانيا هي التي تقف خلف هذا الأمر، لأن ذلك من شأنه أن يعرّض الخطة الألمانية للخطر، وهي خطّة تصور الحزب الجديد على أنه مجرد وسيلة لتأمين النفوذ الألماني في مصر المستقبل فحسب. ولهذا السبب تحديدًا، أرادت وزارة الخارجية الألمانية إنشاء شراكة ألمانية - مصرية جديدة في برلين، وهي فكرة تم الترويج لها في الوقت نفسه تقريبًا. وخلال ثلاثة أشهر، هي مدة العمل والتحضير لإنشاء هذا الحزب، تم الانتهاء من وضع الخطة الرئيسة عبر عدة اجتماعات تحضيرية جَرَت بين ممثلي قسم الشرق في وزارة الخارجية والمصريين الموجودين في برلين. وكان من المقرر دمج أهم الأشخاص في المجموعات السياسية المختلفة في "لجان فرعية"، يتم تشكيلها في إسطنبول وسويسرا[72].

كان من المفترض أن يتولى محمد فريد رئاسة التحالف/ الحزب بأكمله، أما في تركيا فكان اسم جاويش مطروحًا لتولّي رئاسة لجنة الفرع المحلي. وفي سويسرا، كان إسماعيل لبيب هو المنوط به فعل الشيء نفسه. وبنظرة معمقة إلى مواد الأرشيف الألماني التي وردت فيها تفاصيل الخطة الألمانية لإنشاء تحالف سياسي، نجد أنها تقدّم معطيات واضحة عن العلاقات الموجودة بين المعارضة المصرية من ناحية وبين الأتراك والألمان من ناحية أخرى، إلى جانب العلاقة بين المجموعات المختلفة، ومدى الانقسام السياسي العميق بينهم. وتقدّم تلك الوثائق أيضًا معطيات عن تغير آراء السياسيين، طبقًا للبلد المضيف؛ فمثلًا، نجد أن محمد فريد كان يتمسك بفكرة الجامعة الإسلامية. ولكن في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية أدرك أنه لا فائدة من ذلك، وأنه لا بد من أن يكون على غرار الجامعة أو الوحدة الجرمانية. ولعل هذا ما دفع فريد إلى أن يقيم علاقات من طراز خاص مع كل من ألمانيا وتركيا، فقد كان يتمنى أن تبني الدولتان حلفًا واحدًا للوقوف في وجه الأطماع الأوروبية الاستعمارية. وقد فنّد رؤوف عباس هذه المسألة في بحثه عن ألمانيا والقوميين المصريين[73]، بينما أرجع رفعت السعيد الأمر إلى غياب الحوار بين فريد وزعيم التيار المتشدد داخل الحزب الوطني جاويش، ووجه عدة انتقادات إلى فريد لعدم إقامة حوار مع جاويش الذي كان يرفع شعار مصر للمسلمين بدلًا من مصر للمصريين. وأضاف أن ما كان يغضب فريد هو تصور جاويش ومناداته بضرورة ربط مصر بالدولة العثمانية، وهو على نقيض تصور فريد القومي[74].

بعد ثلاثة أشهر من التحضير والعمل، لم يؤت الحزب الألماني المصري المزمع إنشاؤه، والمقرر الإعلان عنه في سويسرا، أكله قطُّ، وباءت الخطة بالفشل، وقد كان للتناقضات الكبيرة بين أعضاء الحزب، واختلافهم في مسألة التحالف العسكري والسياسي بين ألمانيا وتركيا، دور واضح في إفشال الخطة الألمانية؛ إذ عكست التناقضات الموجودة لدى أعضاء الحزب وجود شعور مترسخ بينهم بأن التحالف بين الألمان والأتراك أضعف اهتمام الألمان بالقضية المصرية. فحينما عبّر فريد لوزير الخارجية الألمانية زيمرمان Zimmermann عن مخاوف القوميين المصريين من إهمال الإشارة إلى مصر في الاتصالات المتبادلة بين ألمانيا والولايات المتحدة الأميركية بشأن مقترحات السلام، في الوقت الذي تمت فيه الإشارة إلى إيرلندا والهند، ادعى زيمرمان أن مصر أُدرجت في المقترحات العامة الألمانية المتعلقة بشمال أفريقيا، إلا أن فريد لفت أنظار الوزير إلى أهمية مصر بالنسبة إلى المصالح الألمانية في الشرق الأدنى، وخاصة قناة السويس، التي تستحق أن تؤخذ في الاعتبار في مثل هذه الاتصالات. ولكي يغلق زيمرمان هذا النقاش مع فريد، قال له إنهم يصحّحون هذا الخطأ في أقرب فرصة تتاح لهم[75]، ومن ثمّ أدرك فريد أن الحكومة الألمانية أصبحت أقل اهتمامًا بالمسألة المصرية.

---

72 المرجع نفسه.

73 Hamed, p. 24.

74 رفعت السعيد، **تاريخ الحركة الاشتراكية** (القاهرة: دار الفارابي، 1972)، ص 36.

75 فريد، ص 50.

لقد تكرر الأمر نفسه حينما اقترح فريد، في شباط/ فبراير 1918، على ألمانيا الإسراع في طرح مسألة تدويل قناة السويس للنقاش[76]، استنادًا إلى بروتوكول لندن الموقع عام 1840 أثناء حكم محمد علي، وهناك العديد من الدول الموقعة عليه، وأغلب هذه الدول ستدافع عن حقها ولن تسمح لإنكلترا بالتحكم في قناة السويس منفردةً، إلا أن الألمان لم يظهروا أي تجاوب أو أي اهتمام في هذا الشأن، وهذا راجع إلى العلاقة التي كانت تربطهم بحكومة الاتحاد والترقي التركية، والتي كان لديها موقف سلبي من القوميين المصريين، إلى جانب عدم الرغبة الألمانية في الدخول في مواجهة مباشرة مع الإنكليز والفرنسيين، خاصة بعد فشل حملة قناة السويس الأولى. كل هذا أدى إلى تعميق الشعور لدى القوميين المصريين بأن التحالف الألماني السياسي والعسكري مع الأتراك قائم على حساب القضية المصرية، وهو ما لم يستطع الألمان التخفيف من حدّته أو حلّه مع القوميين المصريين؛ ما أدى إلى فشل فكرة التحالف الألماني - المصري.

3. خاتمة: الدور الألماني في ثورة 1919

بناء على ما سبق، كشفت الوثائق الموجودة في الأرشيف الألماني عن العديد من التفاصيل المتعلقة بالدعم الألماني للمعارضة المصرية في أوائل القرن العشرين، إلى جانب موقفها من فكرة الثورة بصفة عامة. إلا أن هذا التاريخ من التدخل الألماني في مثل هذه القضايا يثير سؤالًا عن أحداث ثورة 1919، وإذا ما كانت تلك الثورة مصرية خالصة، أو إذا ما كان العملاء الألمان قد أدوا، بصفة مباشرة، أو غير مباشرة، دورًا في اندلاعها ودعم قادتها. وكما ذكرنا، تزامن الدعم الألماني للثورة المصرية مع خطة الألمان التي تهدف إلى تثوير العالم الإسلامي. وللإجابة عن هذا السؤال نجد أن الوثائق في الأرشيف الألماني حملت تناقضًا تجاه ثورة 1919؛ ففي بعض الوثائق تم نعتها بالثورة، وفي بعضها الآخر بالانتفاضة. فنجد مثلًا تقريرًا مطولًا وضعه هربرت ديبل[77]، الخبير الألماني في شؤون الشرق الأوسط، وقد عمل أيضًا مسؤولًا في وزارة الخارجية الألمانية، وأرسله في آذار/ مارس 1919 إلى الوزارة، بشأن الأحداث التي وقعت في مصر[78]، وقد حاول ديبل تقديم أدلة لمتابعي المشهد المصري لتأكيد أنها "ثورة مصرية خالصة"[79]. وفي الجانب الآخر، اختلفت أصوات أخرى مع ديبل، فقد نقلت الصحيفة الإخبارية الناطقة بالفرنسية *Le Matin* أن الشرارات الأولى للانتفاضات المنظمة التي وقعت في كل من الهند وإيرلندا ومصر كانت مدبرة من برلين. ووفقًا لتقرير الصحيفة، اتخذ القرارات في فندق أدلون Adlon في برلين سياسيون قوميون من بينهم الإيرلندي تشاتيرتون هيل، وشيمباكارامان بيلاي من الهند، والمصري علي علوي. لا يمكن، بطبيعة الحال، استبعاد احتمال أن يكون افتراض صحيفة *Le Matin* دقيقًا، فما قامت به ألمانيا من تقديم دعم للقوميين المصريين من أجل تمرير خطتهم يصب في صالح هذا الرأي. لكن هناك احتمال آخر، وهو أن الصحيفة كانت تشير إلى اجتماع احتجاجي عُقد في برلين في بداية عام 1919 في فندق أدلون أقامه الحزب الراديكالي المصري بقيادة الدكتور منصور رفعت[80].

كان موقف الإنكليز من ثورة 1919 وعامل المفاجأة، والارتباك في التعامل معها، علامة على تدخل الألمان في تحريك الشارع المصري، فهناك العديد من الوثائق المختلفة داخل الأرشيف الألماني تروي عددًا من الأحداث التي تؤكد أن الإنكليز كانوا يرون أن الألمان يقفون بقوّة خلف أحداث الثورة في مصر، خاصة أنهم قدموا الدعم للقوميين المصريين عبر سنوات طويلة

76 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA , R 15951، 1918/2/13، ص 100F.

77 كان هربرت ديال (1886/3/27-1955/9/12) يعمل في وزارة الخارجية الألمانية منذ عام 1909. أولًا، كان يعمل مترجمًا بالسفارة في المغرب. بعد توقفه في القسطنطينية وفي وزارة الخارجية في برلين، عمل في الفترة 1918-1919 في السفارة في برن. تقاعد عام 1944.

78 Allgemeine Angelegenheiten Egyptens; Ägypten Nr. 3, Die ägyptische Frage, PAAA , R 15036 bis R 15044, pp. 123-130.

79 Ibid.

80 Ibid., p. 134.

من أجل الوصول إلى تلك اللحظة، إلى جانب إرسالهم الجواسيس إلى القاهرة في الفترات السابقة للثورة ودعم الانتفاضات المختلفة التي قام بها الشعب المصري. فقد ذكرت إحدى الوثائق الألمانية قصة أحد المقاتلين الألمان الذين تم اعتقالهم في أحد مراكز الاعتقال في مصر؛ إذ أرسل مكتب شرطة الحدود لمقاطعة بايرن في سالزبورغ تقريرًا إلى وزارة الخارجية، في 2 كانون الثاني/ يناير 1920، يتضمّن تصريحات مقاتل ألماني سابق من شرق أفريقيا يُدعى شيلفوهوبر Schilfhuber، وكان هذا الجندي محتجزًا في معسكر اعتقال في مصر، وقد عمل أيضًا مترجمًا خلال هذه الفترة، وسُمح له ولسجناء آخرين بالخروج من المعسكر في بعض الأحيان. وكما أورد مكتب شرطة الحدود، تمكن المقاتل الألماني مع عدد من السجناء، ففي مثل هذه المناسبات، ملاحظة وجود قتال بين العرب وقوات الاحتلال الإنكليزية، وفي أثناء كل تلك الحوادث، اعتاد الإنكليز البحث دائمًا عن "كبش فداء" بين السجناء الألمان أو غيرهم من الأشخاص الموالين لألمانيا لشكّهم في ضلوع الألمان في مثل هذه الأحداث. وقد قُبض على شيلفوهوبر بتهمة التحريض على أعمال الشغب، وقُدّم للمحاكمة العسكرية، ولكن تم إطلاق سراحه من السجن بعد عدة أيام لغياب مزيد من الأدلة[81]. وعند الاطلاع على الوثائق المختلفة داخل الأرشيف الألماني، التي تتحدث عن ثورة 1919، يمكن أن يجد المرء أيضًا بعض المعلومات عن محاولات الإنكليز المختلفة التي تتعلّق بالبحث عن أسباب الانتفاضات ومنشئها مرارًا وتكرارًا، وتكرار عملية إلقاء اللوم على مجموعات وأشخاص مختلفين من الخارج. إلا أن هذه الممارسات الإنكليزية والتشكك الدائم في تدخل الألمان في الأحداث في مصر لم يَرُق العديد من الكتاب خاصة المصريين منهم، والذين رأوا ذلك خطأً متكررًا وقع فيه الإنكليز، وهو ما أدى إلى تبني وجهة نظرهم في القول بأن ألمانيا وقفت خلف أحداث ثورة 1919. ففي إحدى مقالاته عام 1994، وبعد مرور 75 عامًا على ثورة 1919، كتب مصطفى أمين مقالة في صحيفة **الشرق الأوسط**، جاء فيها أن الإنكليز قد أصابهم الدهشة من التنظيم الجيد للثورة، ونتيجة لذلك توصلوا إلى التصور الخاطئ القائل إن ثورة 1919 كانت نتيجة للتدخل الألماني، ويذهب إلى أن ثورة 1919 ثورة خالصة ولم يكن لأي طرف أجنبي أي تدخل فيها[82]. إلا أننا نجد من يعارض ذلك بين الباحثين الغربيين، فالمؤرخ الأميركي الكبير روبرت ل. تيجنور Robert L. Tignor يرى أن انتفاضة 1919 حدثت نتيجة للتدخل الألماني، ويرجع هذا إلى التنظيم الذي بذله الألمان والاجتماعات المختلفة للمعارضين في المنفى بدعم ألماني. وقد بني تصوره هذا على أساس المراسلات التي اطلع عليها في الأرشيفين الإنكليزي والأميركي، وهو ما أذهب إليه وأؤيده نظرًا إلى ما تم تقديمه من سرد وتحليل للوثائق التي تحدثت عن التدخل والدعم الألمانيَين لانتفاضات المجتمع المصري ضد الإنكليز، إلى جانب دعم القوميين في المنفى والتحالف معهم.

كانت ثورة 1919 حدثًا كبيرًا ومهمًّا، وجاءت أيضًا في خضم تحولات سياسية داخل ألمانيا، ولا سيما الانتقال من القيصرية إلى الجمهورية؛ لذلك أشارت بعض الوثائق في الأرشيف الألماني إلى أن رد فعل ألمانيا كان إيجابيًا تجاه تلك الثورة، لكن هذه الاستجابة كانت أقل مما كان متوقعًا؛ إذ نجد تحليلًا دقيقًا للخبير الألماني في وزارة الخارجية الألمانية أورينت ديل Orient Diel عن التطور السياسي في مصر حتى اندلاع ثورة 1919 وأهميته بالنسبة إلى المصالح الألمانية في الشرق، حيث قال: لم تتحول الصورة في الشرق على الأقل إلى غير صالحنا منذ 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، وعلينا أن نحافظ على التزامنا، ونفتح أعيننا أكثر، وضرورة إبراز تعاطفنا بصفة أكبر بشأن سعي الشرق للحرية في شكل مستتر، ومن ثمّ العمل من أجل موقفنا وتأكيد وجودنا في الشرق، وأن ما حدث هو فرصة عظيمة لألمانيا لاستعادة نفوذها في مصر[83].

---

81 Ibid., pp. 213-215.

82 **الشرق الأوسط**، العدد 5579، 1994/3/8.

83 جمهورية ألمانيا، أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم PAAA 15053، 1918/9/13، ص 156.

لقد حدثت ثورة 1919 في مصر في أثناء تغير سياسي كبير في ألمانيا؛ فقد حدثت الثورة الألمانية، وتم نفي القيصر الألماني إلى هولندا، وبدأت فترة جمهورية فايمار، وهنا كان السؤال الأهم: ما موقف الحكومة الجديدة أو هذا النظام السياسي الجديد من القضية المصرية وخاصة الثورة؟ تجيب عدة وثائق في الأرشيف الألماني عن هذا السؤال، فإحدى الوثائق تقول إن برقية وردت من إسبانيا إلى وزارة الخارجية جاء فيها أن هناك تعاطفًا كبيرًا من الشعوب المستعمرة مع المصريين، كما أن هناك تعاطفًا من المصريين مع ألمانيا، وأشارت إلى وجود تعاطف عدد من الدول الأوروبية أيضًا مع المصريين، وقد أشار مرسل "الرسالة الذي أرسلها من سويسرا" إلى الوضع السياسي المحلي المتغير في ألمانيا مع التعليق بأن "الهيئات الرسمية للنظام الجديد في ألمانيا" لم تحدد بعد سياسة خارجية واضحة المعالم تجاه مصر، وأن هناك نوعًا من التحفظ في التعامل مع المتغيرات الجديدة بعد الثورة[84]، على أن هذا التحفظ الذي أشارت إليه البرقية ناتج في نظري من معاهدة فرساي التي وقعت عليها ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وساهمت في تحجيمها على نحو واضح. لكن من أبرز الأمور التي أشارت إليها الوثيقة أنه يجب أن تستمر ألمانيا في دعم معاهد الشرق، ودعم المعارضين في الخارج كما كان في عهد القيصر، وهنا يبرز الدور السياسي الذي أدته تلك المعاهد الثقافية الألمانية المنتشرة في الشرق، والذي تم تحت الغطاء الثقافي الممنوح لها. يضاف إلى ذلك أن الوضع في الشرق يتطور على نحوٍ أفضل للمصالح الألمانية، بينما يزداد الأمر سوءًا بالنسبة إلى إنكلترا، لأن على المدى الطويل سيكون من المستحيل قمع تطلعات شعوب الشرق إلى الحرية من دون تنازلات جدية من الإنكليز[85]. وعلى ما يبدو، فإن ما ذكرته البرقية من وجود تعاطف من الدول الأوروبية تجاه المصريين، ورفضهم الوحشية الإنكليزية، قد نقله عدد من السياسيين المصريين إلى الألمان. ففي أيار/ مايو 1919، أي بعد شهرين من اندلاع الثورة، تقابل أحد خبراء الشرق الألمان، د. هاس Hass (كما ورد اسمه في الوثيقة)، مع مدكور باشا عضو الوزارة ورئيس الغرفة التجارية، وأحد أعضاء الوفد المفاوض بقيادة سعد زغلول، والذي كان في طريقه إلى باريس، ثم منها إلى لندن. وقد شرح مدكور للدكتور هاس الوضع القائم في مصر، وتحدث باستفاضة عن قسوة تعامل الإنكليز أثناء الحرب ثمّ مع المصريين، وضرب على ذلك مثالًا مفاده أن الجنود الإنكليز أطلقوا الرصاص على نساء شاركن في مظاهرات في القاهرة، وهو ما جعل الدوائر الدبلوماسية الفرنسية والإيطالية وكذلك الهولندية تبدي تعاطفها مع المصريين، ما عدا الأميركيين الذين لم يظهروا أي تعاطف، بل كانوا داعمين للإنكليز ورفضوا استقبال أي مصري أو التحدث معه[86].

النتائج

لقد سمح الفضاء السياسي في برلين، وكذلك طبيعة الدولة الألمانية بصفتها دولة مضيفة للمنفيين، وداعمة لنشاطاتهم قبل هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، بأن ينشئوا العديد من شبكات التواصل التي تخدم قضيتهم. كانت أغلب هذه النشاطات عابرة للحدود؛ لذا، فإنّ دراستها من خلال دراسات الشتات، تساهم بوضوح في فهم نشاطات المهاجرين التي كانت عابرة للحدود الجغرافية والسياسية والثقافية. وفي الوقت ذاته، أوضح استخدام هذا المنهج انخراط ألمانيا خارج حدودها في مناهضة الاستعمار، ودعم المعارضين من الدول المستعمرة، إلى جانب انتشار عملائها وجواسيسها في كل مكان من أجل خدمة أهدافها، في اندلاع ثورات ضد الاستعمارَين الإنكليزي والفرنسي.

84 المرجع نفسه، ص 108.
85 المرجع نفسه.
86 المرجع نفسه.

أوضحت الدراسة في العديد من جوانبها أنّ رصد الألمان الدقيق لانتفاضات المصريين ضد الإنكليز ودعمها من خلال شبكة جواسيسها تزامن مع دعم المعارضة في المنفى، وأنّ الوثائق الألمانية سجلت هذا الدعم، وكذلك النشاطات التي سبقت ثورة 1919. وأوضحت الدراسة، أيضًا، السخاء الألماني في دعم المعارضة المصرية ماليًا وسياسيًا، وبرز ذلك في الدعم المقدم لإنشاء الصحف والدوريات المختلفة، كما حدث على سبيل المثال مع الخديوي عباس الثاني. لقد استكشفت الدراسة أن الانقسام السياسي في مصر الحديثة له جذوره في الحركة القومية التي نشأت منذ ثورة 1919 ومستمر حتى اليوم بين مختلف أطياف العمل السياسي. فخلال ثورة 1919، كان هناك استقطاب شديد بين الإسلاميين (الذين أصروا على العلاقات الوثيقة مع تركيا أو الخلافة العثمانية) والعلمانيين/ الليبراليين (الذين كانت لديهم توجهات براغماتية ويهدفون إلى الحكم الذاتي الكامل لمصر). وكان من شأن تلك الانقسامات السياسية العميقة، والحاجة إلى المال، وبراغماتية بعض الأفراد لخدمة قضايا خاصة، تجنيد بعض الأشخاص داخل الحركة الوطنية لصالح الإنكليز أو الألمان على حد سواء.

أوضحت الدراسة، في الوقت ذاته، أن المنفيين المصريين في تلك الحقبة جلبوا معهم خلافاتهم الداخلية، خاصة فيما يتعلق بأمر الزعامة ورئاسة الأحزاب والمجموعات المختلفة، وهو ما ألقى بظلاله على العمل وقدرتهم في الوقت ذاته على التوحد أو الالتفاف حول مطلب معيّن. ولعل هذا ما دفع بعدد من المؤرخين مثل تيلمان لودكه Tilman Lüdke أن يقول إن الألمان لم يكونوا على دراية قوية بهذه الانقسامات العنيفة، لذا بالغوا في قوة الحركة القومية والوقوف خلفها. من ناحية أخرى، قلّل الإنكليز قوة هذه الحركة القومية، ولم يأخذوا في الاعتبار أنها قادرة على صناعة رأي دولي بشأن القضية المصرية.

من جانب آخر، بدا واضحًا تأثير البلد المضيف في أفكار المجموعات المنفية؛ فمثلًا، تخلّى فريد الذي كان يؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية حينما كان في مصر عن تلك الفكرة تمامًا أثناء إقامته في المنفى، أو بالأحرى طوّرها لتصبح أقرب إلى الاتحاد الجرماني، كما أن فكرة التبعية للدولة العثمانية ما هي إلا مسألة رمزية فحسب.

حاولت المعارضة في تلك الفترة أن تجد لنفسها مكانًا في المجتمع الدولي وأن تكثف نشاطاتها، إلا أنها لم تجد حاضنة حقيقية لنشاطاتها سوى سويسرا وألمانيا، كما أن الأخيرة بعد فترة من الزمن تخلّت، على نحو ما، عن دعمها، آخذة في الاعتبار مصالحها مع الحكومة التركية على حساب المعارضة القومية المصرية. وعلى الرغم من هذا الانقسام السياسي، فإن المعارضة المصرية كان لديها شبه إجماع على فريد زعيمًا لهذه الحركة الوطنية، وقد حظي باحترام كبير من الدول المختلفة وفي مقدّمتها ألمانيا. وعكست وثائق الأرشيف الألماني بكل وضوح المكانة التي حظي بها فريد لدى الحكومة والساسة الألمان والأتراك وأفراد المعارضة على حد سواء. وعلى الرغم من هذا التوحد أو شبه الإجماع على شخصية وطنية مثل فريد، فإن المعارضة لم تكن قادرة على تجاوز انقساماتها والدفع في اتجاه عمل سياسي أكثر تجانسًا وتوحدًا.

المراجع

العربية

أرشيف وزارة الخارجية الألمانية PAAA.

الأرشيف العسكري في مدينة كوبلنز الألمانية BAK.

الأرشيف الوطني البريطاني PRO FO.

الخديوي عباس. **مذكرات الخديوي عباس الثاني**. القاهرة: دار الشروق، 1993.

الرافعي، عبد الرحمن. **ثورة 1919: تاريخ مصر القومي من 1914 إلى 1921**. القاهرة: دار المعارف 1978.

حلمي الثاني، عباس. **عهدي: مذكرات عباس حلمي الثاني خديوي مصر الأخير 1892 – 1914**. ترجمة جلال يحيى. القاهرة: دار الشروق، 1993.

فريد، محمد. **مذكرات محمد فريد**. تحقيق رؤوف عباس. القاهرة: عالم الكتب، 1975.

الأجنبية

Die Islamische Welt. vol. 2, no. 2-3 (1918).

Fueß, Albrecht. *Die deutsche Gemeinde in Ägypten von 1919-1939*. Hamburg: Lit, 1996.

Hamed, Raouf Abbas. "Germany and the Egyptian Nationalist Movement 1882-1918." *Die Welt des Islams*. vol. 28, no. 1-4 (January 1988).

Holt, P. M. (ed.). *Political and Social Change in Modern Egypt: Historical Studies from the Ottoman Conquest to the United Arab Republic*. London: Oxford University Press, 1968.

Höpp, G. "'Die ägyptische Frage ist in Wirklichkeit eine internationale' - Zur politisch-publizistischen Tätigkeit ägyptischer Antikolonialisten in Berlin 1918-1928." *Asien, Afrika, Lateinamerika*. vol. 15, no. 1 (1987).

_____. *Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915-1945*. Berlin: klaus schwarz verlag, 1994.

Kassim, Mahmoud. *Die diplomatische Beziehungen Deutschlands zu Ägypten 1919-1936*. Münster/ Hamburg: LIT-Verlag, 2000.

Kuck, Nathanael. "Anti-colonialism in a Post-Imperial Environment-The Case of Berlin, 1914-33." *Journal of Contemporary History*. vol. 49, no. 1 (2014).

Landau, Jacob M. *Pan-Islam: History and Politics*. London: Routledge 1990.

Shaw, Stanford J. & Ezel Kural Shaw. *History of Ottoman Empire and Modern Turkey: vol. 2. Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey 1808-1975*. New York: Cambridge University Press, 1977.

Tignor, Robert L. *Modernization and British Colonial Rule in Egypt, 1882-1914*. Princeton: Princeton University Press, 2015.

Trefzger, Marc. *Die nationale Bewegung Ägyptens vor 1918 im Spiegel der schweizerischen Öffentlichkeit*. Basel/ Stuttgart: Verlag von Helbing & Lichtenhahn, 1970.

مراجع إضافية

أنيس، محمد. **المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي**. القاهرة: دار الشروق، 2019.

_____. **صفحات مجهولة من التاريخ المصري أو سنوات الصراع العنيف بين فؤاد وعباس**. القاهرة: روز اليوسف، 1973.

الرافعي، عبد الرحمن. **محمد فريد: رمز الإخلاص والوطنية**. القاهرة: دار المعارف، [د. ت.].

السعيد، رفعت. **تاريخ الحركة الاشتراكية**. القاهرة: دار الفارابي، 1972.

_____. **محمد فريد الموقف والمأساة: رؤية عصرية**. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1991.

صالح، محمد السيد. **عزيز المصري: أبو الثوار**. القاهرة: بطانة للنشر والتوزيع، 2019.

عباس، رؤوف. **الحركة العمالية في مصر**. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1968.

"*Ä*gyptischen Vertrags von 1936 bis 1942." PhD. Hamburg. 1953 (not published).

Ernst W. Graf Lynar (ed.). *Deutsche Kriegsziele 1914–1918. Eine Diskussion*. Frankfurt/ Berlin: Verlag Ullstein, 1964.

Goldschmidt, Arthur. *Historical dictionary of Egypt*. Edinburgh: RLPG/Galleys, 2013.

Haarmann, Ulrich (ed.). *Geschichte der arabischen Welt*. München: Beck, 1991.

Hourani, Albert. *Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939*. London: Oxford University Press, 1962.

Issawi, Charles. *Egypt at Mid-Century: An Economic Survey*. London, 1954).

Jacobsen, Hans-Adolf. *Nationalsozialistische Außenpolitik 1933-1938*. Frankfurt: Alfred Metzner, 1968.

Kaldor-Robinson, Joshua. "The Virtual and the Imaginary: The Role of Diasporic New Media in the Construction of a National Identity during the Break-up of Yugoslavia." *Oxford Development Studies*. vol. 30, no. 2 (2000).

Lange, Matthew. *Comparative-Historical Methods*. London: SAGE Publications Ltd, 2012.

Mahoney, J. *Rueschemeyer: Comparative Historical Analysis of the Social Sciences*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

Manela, Erez. *The Wilsonian Moment, Self-Determination and the International Origins of Anticolonial Nationalism*. London: Oxford University Press, 2009.

Michalka, Wolfgang (ed.). *Der Erste Weltkrieg. Wirkung, Wahrnehmung, Analyse*. München: Zürich, 1994.

Mikhail, Alan. *Nature and Empire in Ottoman Egypt: An Environmental History*. New York: Cambridge University press, 2011.

Mommsen, Wolfgang. *Imperialismus in* Ägypten *1805-1956*. München: R. Oldenbourg Verlag, 1961.

Morkus, Erwin. *Die Beziehungen Englands zu* Ägypten *vom Abschluss des Anglo-*

Moser, Thomas. *Europäische Integration, Dekolonisation, Eurafrika: Eine historische Analyse* über *die Entstehungsbedingungen der Eurafrikanischen Gemeinschaft von der Weltwirtschaftskrise bis zum Jaunde-Vertrag. 1929-1963*. Baden-Baden: Nomos Verlagsgesellschaft, 2000.

Müller-Funk, Lea. *Egyptian Diaspora Activism During the Arab Uprisings: Insights from Paris and Vienna*. New York: Routledge, 2019.

Shain, Yossi & Aharon Barth. "Diasporas and International Relations Theory." *Journal of International Organization*. vol. 57, no. 3 (2003).

Springborg, Robert. *The Egyptian Revolution of 1919. Legacies and Consequences of the Fight for Independence*. London: Bloomsbury, 2022.

Steininger, Rolf. *Germany and the Middle East: From Kaiser Wilhelm II to Angela Merkel*. New York: Berghahn Books, 2019.

Tignor, Robert L. Tignor, Robert L. "The Egyptian Revolution of 1919: New Directions in the Egyptian Economy." *Middle Eastern Studies*. vol. 12, no. 3 (1976).

_____. *State, Private Enterprise, and Economic Change in Egypt, 1918-1952*. Princeton: Princeton University Press, 1984.

_____. *Capitalism and Nationalism at the End of Empire*. Princeton: Princeton University Press, 1998.

_____. *State, Private Enterprise and Economic Change in Egypt, 1918-1952*. Princeton: Princeton University Press, 2017.

Tsourapas, Gerasimos. *Egypt: Migration and Diaspora Politics in an Emerging Transit Country*. Washington, DC: Migration Policy Institute, 2018.

Wallach, Jehuda Lothar. *Germany and the Middle East: 1835-1939*. Tel Aviv: Tel-Aviv University; Institute of German history, 1975.

Walt, Stephen. *The Origins of Alliances*. Ithaca, NY: Cornell University, 1987.

Westphalen, Clemens Graf von. "Die staats- und völkerrechtliche Stellung Ägyptens, insbesondere die Fremdengerichtsbarkeit und das deutsch-ägyptische Abkommen v. 16. Juni 19125." PhD. Dissertation. Universitat Würzburg. Würzburg. 1930.

Whidden, James Neil. "The Egyptian Revolution: Politics and the Egyptian nation 1919-1926." PhD. Dissertation. University of London. London. 1998.

Williams, Partik & Laura Chrisman (eds.). *Colonial Discourse and Post-Colonial Theory: A Reader*. London: Harverster Wheatsheaf, 1994.

Wolff, Hermann Harry Walter. "Konsulargerichtsbarkeit und Gemischte Gerichte in Ägypten." PhD. Dissertation. Stuttgart. 1938.